من تراث السيوطي

مسالك الحنفا في والدي المصطفى ﷺ

للإمام جلال الدين السيوطي

تحقيق وتعليق

د. محمّد زينهم محمّد عزب



بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

والصلاة والسلام على أفضل خلق البشر محمد بن عبد الله صاحب السيرة المباركة الصادق الأمين وعلى آله وصحبه وبعد.

فنقدم للمكتبة العربية كتاباً من كتب سلسلة الإمام جلال الدين السيوطي الهامة وهو «مسالك الحنفا في والدى المصطفى صلى الله عليه سلم» ويليه «التعظيم والمنة فى أن أبوى رسول الله فى الجنة» فقبل التحدث عن هذا الكتاب نلقى الضوء على حياة الإمام السيوطى وتتدرجه فى العلم.

فالإمام السيوطى : هو عبد الرحمن بن الكمال أبى بكر بن محمد بن سابق الدين بن الفخر عثمان بن ناظر الدين محمد بن سيف الدين خضر بن نجم الدين أبى الصلاح أيوب بن ناصر الدين محمد بن الشيخ همام الدين الهمام الخضرى الأسيوطى. ويلقب بجلال الدين ويكنى بأبى الفضل وكناه بهذه الكنية شيخه العز الكنانى الحنبلى حين عرض عليه ما حفظه، فقال : أبو الفضل، وكتب له هذه الكنية بخطه، ونسبته إلى

أسيوط جاءت من قبل والده الذى ولد بأسيوط بعد الثمانمائة تقريبا ونشأ واشتغل وتولى القضاء بها قبل قدومه إلى القاهرة.

وقد تحدث السيوطى عن والده وعلمه وفضله فى كتابه حسن المحاضرة فقال : والدى الإمام العلامة كمال الدين أبو المناقب أبو بكر.. ولد رحمه الله بأسيوط بعد ثمانمائة تقريبا.

وكان أبوه يعمل بالعلم فى أسيوط وتولى القضاء بها، ثم انتقل إلى القاهرة سنة ٨٢٥هـ ولازم فى القاهرة العلامة القاياتى وهو محمد بن على بن يعقوب قاضى القضاة شمس الدين الشافعى وهو من العلماء الأجلاء، كان بارعاً فى عدة علوم منها الفقه والأصول والكلام والنحو والإعراب والمعانى والمنطق، وأجازه بالتدريس سنة ٨٢٩هـ. وأخذ عن باكير وابن حجر العسقلانى.

فالإمام باكير هو زين الدين أبو بكر بن إسحاق بن خالد الكختاوى، وكان بارعاً فى مختلف العلوم وتفرد بالمعانى والبيان وقد ولى مشيخة المدرسة الشيخونية، وكان قبلها قد ولى قضاء حلب فحمدت سيرته وأفتى ودرس بها. أما ابن حجر وهو شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على بن محمد بن محمد العسقلانى ثم المصرى، ولد سنة ٧٧٣هـ وتخرج بالحافظ العراقى فى الحديث وبرع فيه، وله مؤلفات نافعة نذكر منها الإصابة فى تمييز الصحابة وفتح البارى بشرح صحيح البخارى.

كما أخذ عن غير هؤلاء من أئمة العصر حتى أتقن علوما كثيرة وبلغ فى صناعة التوقيع الغاية وبرع فى فن الإنشاء وأفتى ودرس فى الحكم بالقاهرة، وولى التدريس لمادة الفقه بالجامع الشيخونى، والخطبة بالجامع الطولونى وكان لا يقلد غيره فى خطبه ولم يستعمل ديوان الخطب الذى كان سائداً وما زال إلى عهد قريب، ولكنه كان ينشئ خطبه ويلقيها ارتجالا، بل كان كثير من الشيوخ يلجأون إليه فى تحرير خطب لهم.

وبلغ من منزلة أبيه العلمية الرفيعة أن العظماء وأبناءهم كانوا يتلقون العلم على يديه، فقد ذكر السيوطى أن الخليفة العباسى يعقوب بن المتوكل على الله كان قد اشتغل بالعلم على يد والده، كما ذكر أن الخليفة المستكفي ـ وكان من صلحاء الخلفاء وعبادهم ـ كان خصيصا به جدا، ولم يعش والد السيوطى بعد وفاة المستكفى إلا أربعين يوما.

ولوالد السيوطى مؤلفات عديدة منها حاشية على شرح الألفية لابن المصنف فى مجلدين، وكتاب فى القراءات، ورسائل فى النحو والصرف والتوقيع وغيرها.

ويتكلم السيوطى عن أخلاق أبيه فيذكر أنه كان على جانب كبير من الدين والتحرى فى الأحكام وعزة النفس والصيانة، يغلب عليه حب الانفراد، مواظبا على قراءة القرآن، يختم كل جمعة ختمة.

وقد توفى والد السيوطى ولابنه من العمر ست سنوات سنة ٨٥٥هـ، وتقدم للصلاة عليه قاضى القضاة شرف الدين المناوى، وذكر أنه قال عنه وهو ينتظر الصلاة، لم يبق هنا مثله ولا هناك، وأشار إلى المدينة. ودفن بالقرافة قريبا من الشمس الأصفهانى.

ويتحدث السيوطى عن أسرته فيذكر أنها ذات فضل وعلم وتقوى، فجده الأعلى همام الدين كان من أهل الحقيقة ومشايخ الطرق، والذين جاءوا من بعده كانوا من أهل الوجاهة والرياسة منهم من ولى الحكم، ومنهم من ولى الحسبة، ومنهم من كان تاجراً فى صحبة الأمير شيخون، وكان على ولاء لمدينة أسيوط فأنشأ بها مدرسة ووقف عليها أوقافا، ومنهم من كان متمولا ـ ذا ثروة.

نشأ السيوطى فى بيت علم وتقوى، وكان أبوه يتولى مهمة تحفيظه القرآن وحين توفى كان قد حفظ القرآن حتى سورة التحريم. ولم يتم السيوطى السادسة بعد، ولم تكمل سنه الثامنة حتى كان قد أتم حفظ القرآن الكريم كله. ومن شيوخه جلال الدين المحلى وعلم الدين البلقينى والشارمساحى والمناوى والشمنى وسيف الدين الحنفى والعز الحنبلى والمرزبانى والاقصرائى والعبادى والطلونى وآسية بنت جار الله بن صالح الشيبانى الطبرى وكمالية بنت محمد بن محمد الهاشمية المكية وأم هانئ بنت أبى الحسن الهرويتى وأم الفضل بنت محمد المقدسى وصالحة بنت على ابن الملقن وفاطمة بنت على بن اليسير وشوان بنت

عبدالله الكنانى وهاجر بنت محمد المصرية وسارة بنت محمد البالسى.

وقد رزق السيوطى التبحر فى سبعة علوم هى : التفسير والحديث والفقه والنحو والمعانى والبيان والبديع، وقد بلغ عدد كتبه ٥٨٣ مؤلفا.

أولا - فى علوم القرآن :

١ - الناسخ والمنسوخ فى القرآن.

٢ - شرح الشاطبية الألفية فى القراءات.

٣ - الإكليل فى استنباط التنزيل.

٤ - مجمع البحرين ومطلع البدرين.

٥ - المهذب.

٦ - لباب النقول فى أسباب النزول.

٧ - الإتقان فى علوم القرآن.

٨ - الدر المنثور فى التفسير بالماثور.

ثانيا - الحديث ومتعلقاته.

١ - ذيل طبقات الحفاظ.

٢ - اللآلئ المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة.

٣ - تنوير الحوالك فى شرح موطأ الإمام مالك.

٤ ـ تدريب الرواى فى شرح تقريب النواوى.

٥ ـ جمع الجوامع فى السنة.

٦ ـ كتاب مفتاح الجنة.

ثالثا ـ علوم اللغة :

١ ـ خصائص اللغة.

٢ ـ المزهر.

رابعا ـ التاريخ :

١ ـ حسن المحاضرة فى أخبار القاهرة.

٢ـ تاريخ الخلفاء.

٣ ـ فضائل مكة والمدينة.

خامسا ـ التصوف :

١ ـ تأييد الحقيقة العلية.

٢ ـ درج المعالى فى نصرة الغزالى.

٣ ـ مختصر الإحياء.

٤ ـ الخبر الدال على وجود القطب.

٥ ـ المعانى الدقيقة.

٦ - سهام الإصابة فى الدعوات المستجابة.

٧ - شرح الصدور بشرح حال الموتى.

٨ - بشرى الكئيب بلقاء الحبيب.

وغيرها من المصنفات فى شتى المجالات.

مات سنة ٩١١هـ بعد أن ترك لنا ثروة عظيمة وهائلة من أمهات كتب التراث.

والكتاب الذى بين أيدينا يلقى الضوء بالآيات والأحاديث واجتهادات الأئمة حول موضوع هام وهو هل والدا النبى صلى الله عليه وسلم يدخلان الجنة أم لا، وخاصة أن النبى صلى الله عليه وسلم نشأ يتيما، وذيلته بكتاب وهو يحمل نفس الموضوع ولكن بعمق وهو «التعظيم والمنة فى أن أبوى رسول الله فى الجنة» وقد برع السيوطى فى تنسيق هذا الموضوع بإصداره فى كتب صغيرة. وقد اعتمدت فى تحقيقه على طبعاته القديمة وخاصة طبعات حيدر آباد والقاهرة.

ونرجو من الله أن ينفع هذا الكتاب كل مسلم ومسلمة وكل باحث وباحثة والله الموفق يارب.

القاهرة فى ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م

الدكتور محمد زينهم عزب

مسالك الحنفا

فـــى

والدى المصطفى

صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الدين اصطفى، هذا تأليف يسمى مسالك الحنفا فى والدى المصطفى فى مسألة الحكم فى أبوى النبى صلى الله عليه وسلم أنهما ناجيان وليسا فى النار، صرح بذلك جمع العلماء ولهم فى تقرير ذلك مسالك.

المسلك الأول

أنهما ماتا قبل البعثة ولا تعذيب قبلها لقوله تعالى ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ (١) وقد أطبقت أئمتنا الأشاعرة(٢) من أهل الكلام والأصول والشافعية من الفقهاء على أن من مات ولم تبلغه الدعوة يموت ناجيا، ونص عليه الإمام الشافعى رضى الله عنه وسائر الأصحاب بل زاد بعض الأصحاب، وقال: إنه يجب فى قتله القصاص

(١) ١٥ك الإسراء ١٧

(٢) انظر مقالات الإسلاميين للأشعرى

ولكن الصحيح خلافه لأنه ليس بمسلم حقيقى وشرط القصاص المكافأة، وقد علل بعض الفقهاء كونه إذا مات لا يعذب بأنه على أصل الفطرة، ولم يقع منه عناد ولا جاءه رسول فكذبه، وهذا المسلك أول ما سمعته فى هذا المقام الذى نحن فيه من شيخنا شيخ الإسلام شرف الدين المناوى[٣] فإنه سئل عن والد النبى صلى الله عليه وسلم هل هو فى النار فزأر السائل زأرة شديد. فقال له السائل: هل ثبت إسلامه؟ فقال إنه مات فى الفطرة ولا تعذيب قبل البعثة ونقله ابن الجوزى[٤] فى (كتاب مرآة الزمان) عن جماعة فإنه حكى كلام جده على حديث إحياء أمه

---

(٣) له ذكر فى سير أعلام النبلاء

(٤) هو الإمام العلامة الحافظ عالم العراق وواعظ الآفاق جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن عبد الرحمن القرشى البكرى الصديقى البغدادى الحنبلى الواعظ. صاحب التصانيف السائرة فى فنون العلم وعرف جدهم بالجوزى لجوزة كانت فى دارهم لم يكن بواسط سواها. ولد سنة ٥١٠هـ وسمع فى سنة تسع عشرة من ابن الحصين وأبى غالب بن البناء وخلق عدتهم سبع وثمانون نفسا.

حدث عنه بالإجازة الفخر على وغيره. وله «زاد المسير» فى التفسير، «وجامع المسانيد» «والمغنى» فى علوم القرآن «وتذكرة الأريب» فى اللغة «والوجوه والنظائر» «ومشاكل الصحاح» «والموضوعات» «والواهيات» «والضعفاء» «وتلقيح فهوم الأثر» «والمنتظم» فى التاريخ . مات سنة ٥٩٧هـ.

صلى الله عليه وسلم ثم قال ما نصه وقال قوم قد قال الله تعالى ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾[٥] والدعوة لم تبلغ أباه وأمه فما ذنبهما، وجزم به الأبى فى (شرح مسلم) وسأذكر عبارته وقد ورد فى أهل الفطرة أحاديث أنهم يمتحنون يوم القيامة وآيات مشيرة إلى عدم تعذيبهم، وإلى ذلك مال حافظ العصر شيخ الإسلام أبو الفضل ابن حجر[٦] فى بعض كتبه فقال : والظن بآبائه صلى الله عليه وسلم يعنى الذين ماتوا قبل البعثة أنهم يطيعون عند الامتحان إكراماً له صلى الله عليه وسلم لتقرّ بهم عينه، وقد جعلت قضية الامتحان داخلة فى هذا المسلك مع أن الظاهر أنها مسلك مستقل، لكن وجدت ذلك لمعنى دقيق لا يخفى على ذوى التحقيق.

---

(٥) ١٥ لك الإسراء ١٧

(٦) هو شيخ الإسلام أحمد بن على بن محمد بن محمد بن على الكنانى العسقلانى ثم المصرى الشافعى ولد سنة ٧٧٣هـ وعانى أولا الأدب والشعر فبلغ فيه الغاية، ثم طلب الحديث من سنة ٧٩٤هـ فسمع الكثير ورحل ولازم شيخه الحافظ أبا الفضل العراقى وبرع فى الحديث وتقدم فى جميع فنونه. له عدة مصنفات منها شرح البخارى وتعليق التعليق والتشويق إلى وصل التعليق والتوفيق وتهذيب التهذيب وتقريب التهذيب ولسان الميزان والإصابة فى تمييز الصحابة ونكت ابن الصلاح وأسباب النزول وتعجيل المنفعة برجال الأربعة والمدرج والمقترب فى المضطرب وغيرها مات سنة ٨٥٢هـ.

ذكر الآيات المشيرة إلى ذلك

الأولى : قوله تعالى ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾[٧] وهذه الآية هى التى أطبقت أئمة السنة على الاستدلال بها فى أنه لا تعذيب قبل البعثة وردوا بها على المعتزلة[٨] ومن وافقهم فى تحكيم العقل، أخرج ابن جرير[٩] وابن أبى حاتم[١٠] فى تفسيريهما عن قتادة[١١] فى قوله تعالى **﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾** قال: الله ليس بمعذب أحداً حتى يسبق إليه من الله خبر أو يأتيه من الله بينة.

---

(٧) ١٥ك الإسراء ١٧

(٨) انظر التفاصيل فى مقالات الإسلاميين للأشعرى

(٩) هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير أبو جعفر الطبرى أحد الأعلام وصاحب التصانيف الطواف، كان فقيهاً فى أحكام القرآن، عالماً بالسنن وطرقها، صحيحها وسقيمها، ناسخها ومنسوخها، عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين، بصيراً بأيام الناس وأخبارهم، له «تاريخ الرسل» والتفسير وتهذيب الآثار. ولد سنة ٢٢٤هـ ومات سنة ٣١٠هـ.

(١٠) هو أبو محمد عبد الرحمن بن محمد إدريس بن المنذر التميمى الحنظلى الرازى. ولد سنة ٢٤٠هـ، له الجرح والتعديل والتفسير والرد على الجهمية، ثقة مات سنة ٣٢٧هـ.

(١١) هو قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسى أبو الخطاب البصرى الأكمه، روى عن أنس وعبد الله بن سرجس وأبى الطفيل وسعيد بن المسيب والحسن وابن سيرين وخلق وعنه أبو حنيفة وأيوب وشعبة ومسعر والأوزاعى وحماد بن سلمة وأبو عوانة وخلق. ثقة ولد سنة ٦٠هـ ومات سنة ١١٧هـ.

الآية الثانية: قوله تعالى ﴿ ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون﴾[١٢] أورد هذه الآية الزركشى[١٣] فى (شرح جمع الجوامع) استدلالا على قاعدة أن شكر المنعم ليس بواجب عقلا بل بالسمع.

الثالثة: قوله تعالى ﴿ ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين﴾[١٤] أورد هذه الآية الزركشى أيضا. وأخرج ابن أبى حاتم فى تفسيره عند هذه الآية بسند حسن عن أبى سعيد الخدرى[١٥] قال قال رسول الله ﷺ ، الهالك فى الفترة يقول رب لم يأتنى كتاب ولا رسول، [١٦] ثم قرأ هذه الآية ﴿ ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين﴾.

الرابعة : قوله تعالى ﴿ ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا

---

(١٢) ١٣١ك الأنعام ٦

(١٣) هو العلامة أبو الحسن الشيخ بدرالدين الزركشى. تفقه على بعض أصحاب الدميرى، وبرع فى المذهب حتى فاق على أهل زمانه ولقبوه بالسبكى الثانى، وله تصانيف منها بداية المحتاج فى شرح المنهاج. مات سنة ٩٣١هـ.

(١٤) ٤٧ـ القصص ك ٢٨

(١٥) هو أبو سعيد الخدرى سعد بن مالك الأنصارى أبو حمزة المدنى، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وله صحبة طويلة وحديث كثير. مات فى سنة ٩٣هـ

(١٦) ورد فى صحيح البخارى ومسلم.

ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى﴾ (١٧) أخرج ابن أبى حاتم فى تفسيره عند هذه الآية عن عطية العوفى(١٨) قال : الهالك فى الفطرة يقول رب لم يأتنى كتاب ولا رسول وقرأ هذه الآية ﴿ ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله﴾ (١٩) إلى آخر الآية.

الخامسة : قوله تعالى ﴿ وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا﴾ أخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس(٢٠) وقتادة فى الآية وإلا لم يهلك الله تعالى أهل مكة حتى بعث إليهم محمداً ﷺ فلما كذبوا ظلموا فبذلك هلكوا.

السادسة : قوله تعالى ﴿ وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون * أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين﴾(٢١).

---

(١٧) ١٣٤ك طه ٢٠

(١٨) هو عطية بن سعد بن جنادة العوفى الجدلى القيسى الكوفى أبو الحسن. روى عن أبى سعيد وأبى هريرة وابن عباس وابن عمر وزيد بن أرقم وعكرمة وعدى ابن ثابت وغيرهم ثقة مات سنة ١٠١هـ وقيل سنة ١٢٧هـ.

(١٩) ١٣٤ك طه ٢٠

(٢٠) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب أبو العباس الهاشمى الإمام البحر عالم العصر ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، دعا له النبى صلى الله وسلم أن يفقهه الله فى الدين ويعلمه التأويل. مات ابن عباس بالطائف سنة ٦٨هـ.

(٢١) ١٥٥، ١٥٦ الأنعام ٦

السابعة : قوله تعالى ﴿ **وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون * ذكرى وما كنا ظالمين** ﴾ [٢٢] اخرج عبد بن حميد[٢٣] وابن المنذر[٢٤] وابن أبى حاتم فى تفاسيرهم عن قتادة فى الآية قال : ما أهلك الله من قرية إلا من بعد الحجة والبينة والعذر حتى يرسل الرسل وينزل الكتب تذكرة لهم وموعظة وحجة لله ذكرى وما كنا ظالمين. يقول ما كنا لنعذبهم إلا من بعد البينة والحجة.

الثامنة : قوله تعالى ﴿ وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير﴾ قال المفسرون: احتج عليهم ببعثة النبى صلى الله عليه وسلم وهو المراد بالنذير فى الآية.

---

(٢٢) ٢٠٨ ، ٢٠٩ ك الشعراء ٢٦ .

(٢٣) هو عبد بن حميد نصر الكرسى أبو محمد الحافظ، قيل اسمه عبد الحميد، روى عن يزيد بن هارون ومحمد بن بشر العبدى وعبد الرزاق وخلق، وعنه مسلم والترمذى وإبراهيم بن خريم الشاشى. وصنف المسند والتفسير. مات سنة ٢٤٩هـ.

(٢٤) هو شكر الحافظ الثقة الرحال أبو عبد الرحمن محمد بن المنذر بن شعبة الهروى مقدم فى الفن وصنف. مات سنة ٣٠٣هـ.

ذكر الأحاديث الواردة فى أن أهل الفترة يمتحنون يوم القيامة فمن أطاع منهم أدخل الجنة ومن عصى أدخل النار

الحديث الأول : أخرج الإمام أحمد بن حنبل[٢٥] وإسحاق بن راهويه[٢٦] فى مسنديهما والبيهقى[٢٧] فى (كتاب الاعتقاد) وصححه عن الأسود بن سريع[٢٨] أن النبى ﷺ قال : أربعة يحتجون يوم القيامة:

---

(٢٥) هو الإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيبانى أبو عبد الله المروزى ثم البغدادى صاحب المسند والزهد، روى عن إبراهيم بن سعد وإسماعيل بن علية وبهز بن أسد وبشر بن المفضل وخلائق. وعنه البخارى ومسلم وأبو داود وإبراهيم الحربى وآخرون آخرهم أبو القاسم عبيد الله بن محمد البغوى، كان من كبار الحفاظ الأئمة ومن أحبار هذه الأمة. ولد سنة ١٦٤هـ ومات سنة ٢٤١هـ.

(٢٦) هو إسحاق بن راهويه إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم بن مطر الحنظلى أبو يعقوب المروزى، روى عن ابن علية وروح بن عبادة وسليمان بن حرب وابن عيينة وزكريا بن عدى وابن مهدى وعبد الرزاق وخلائق. أملى المسند والتفسير مات سنة ٢٣٨هـ.

(٢٧) هو الإمام الحافظ شيخ خراسان أبو بكر أحمد بن الحسين بن على بن موسى الخسروجردى صاحب التصانيف، ولد سنة ٣٨٤هـ ومات سنة ٤٥٠هـ، له عدة مصنفات منها السنن الكبرى والصغرى وشعب الإيمان والأسماء والصفات ودلائل النبوة والبعث والآداب والدعوات والمدخل والمعرفة والترغيب والترهيب والخلافيات والزهد والمعتقد.

(٢٨) هو الأسود بن سريع بن حمير بن عبادة التميمى السعدى من بنى منقر صحابى، غزا مع النبى صلى الله عليه وسلم، ثقة مات سنة ٤٢هـ.

رجل أصم لا يسمع شيئا ورجل أحمق ورجل هرم ورجل مات فى فترة. وأما الأصم فيقول رب لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئا وأما الأحمق فيقول رب لقد جاء الإسلام والصبيان يحذفوننى بالبعر، وأما الهرم فيقول رب لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئا وأما الذى مات فى الفترة فيقول رب ما أتانى لك رسول. فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه فيرسل إليهم أن ادخلوا النار فمن دخلها كانت عليه بردا وسلاما ومن لم يدخلها يستجر إليها.

الحديث الثانى : أخرج أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه فى مسنديهما وابن مردويه[٢٩] فى تفسيره والبيهقى فى (الاعتقاد) عن أبى هريرة[٣٠] رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : أربعة يحتجون ... فذكر مثل حديث الأسود بن سريع.

الحديث الثالث : أخرج البزار[٣١] فى مسنده عن أبى سعيد

---

(٢٩) هو ابن مردويه الصغير الحافظ الإمام أبو بكر أحمد بن محمد ابن الحافظ الكبير أبى بكر أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهانى، أحد شيوخ السلفى، لم يلحق جده، وسمع ابن عبدكويه وأبا نعيم.

(٣٠) هو أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسى اليمانى حفظ عن النبى ﷺ الكثير وعن أبى بكر وعمرو أبى بن كعب، وعنه سعيد بن المسيب وبشير بن نهيك وخلق كثير، وكان من أوعية العلم ومن كبار أئمة الفتوى مع الجلالة والعبادة والتواضع، وولى إمرة المدينة وناب أيضا عن مروان فى إمرتها. مات سنة ٥٨هـ.

(٣١) هو أبو محمد عبد الله بن أحمد بن سعد النيسابورى الحاجى البزار، أحد الأثبات مات فجأة سنة ٣٤٩هـ.

الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: يؤتى بالهالك فى الفترة والمعتوه والمولود، فيقول الهالك فى الفترة لم يأتنى كتاب ولا رسول، ويقول المعتوه أى رب لم تجعل لى عقلا أعقل به خيرا ولا شرا، ويقول المولود لم أدرك العمل، قال فيرفع لهم نار فيقال لهم: ردوها أو قال ادخلوها فيدخلها من كان فى علم الله سعيدا لو أدرك العمل، ويمسك عنها من كان فى علم الله شقيا لو أدرك العمل، فيقول تبارك وتعالى : إياى عصيتم وكيف برسلى بالغيب. فى إسناده عطية العوفى فيه ضعف والترمذى يحسن حديثه وهذا الحديث له شواهد تقتضى الحكم بحسنه وثبوته.

الحديث الرابع : أخرج البزار وأبو يعلى(٣٢) فى مسنديهما عن أنس(٣٣) قال : قال رسول الله ﷺ يؤتى بأربعة يوم القيامة بالمولود والمعتوه ومن مات فى الفترة وبالشيخ الفانى كلهم متكلم بحجته، فيقول الله تبارك وتعالى لعنق من جهنم : ابرزى فيقول لهم إنى كنت أبعث إلى عبادى رسلا من أنفسهم وإنى رسول نفسى إليكم ادخلوا هذه ، فيقول

---

(٣٢) هو معلى بن منصور الرازى أبو يعلى، روى عن ابن عيينة وحماد بن زيد ومالك والليث وخلق، وعنه ابن المدينى وأبو بكر بن أبى شيبة وآخرون، مات سنة٢١١هـ.

(٣٣) هو أنس بن مالك بن النضر أبو حمزة الأنصارى المدنى، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم وله صحبة طويلة وحديث كثير، مات سنة ٩٣هـ.

من كتب عليه الشقاء : ياارب أتدخلناها وما كنا نعرف، ومن كتب له السعادة فيمضى فيقتحم فيها مسرعا فيقول الله قد عصيتمونى فأنتم لرسلى أشد تكذيبا ومعصية فيدخل هؤلاء الجنة وهؤلاء النار.

الحديث الخامس : أخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن حاتم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : إذا كان يوم القيامة جمع الله أهل الفترة والمعتوه والأصم والأبكم والشيوخ الذين لم يدركوا الإسلام ثم أرسل إليهم رسولا أن ادخلوا النار فيقولون كيف ولم يأتنا رسل؟ قال : وايم الله لو دخلوها لكانت عليهم بردا وسلاما، ثم يرسل إليهم فيطيعه من كان يريد أن يطيعه. قال أبو هريرة اقرأوا إن شئتم ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ إسناده صحيح على شرط الشيخين، ومثله لا يقال من قبل الرأى فله حكم الرفع.

الحديث السادس : أخرج البزار والحاكم(٣٤) فى مستدركه عن

---

(٣٤) هو الحافظ الكبير إمام المحدثين أبو عبد الله محمد بن عبد الله محمد بن حمدويه بن نعيم الضبى النيسابورى يعرف بابن البيع صاحب المستدرك والتاريخ وعلوم الحديث والمدخل والإكليل ومناقب الشافعى ولد سنة ٣٢١هـ ومات سنة ٤٠٥هـ، تفقه بأبى سهل الصعلوكى وابن أبى هريرة، حدث عنه الدارقطنى وابن أبى الفوارس والبيهقى والخليلى وخلائق.

ثوبان[٣٥] أن النبى ﷺ قال : إذا كان يوم القيامة جاء أهل الجاهلية يحملون أوثانهم على ظهورهم، فيسألهم ربهم فيقولون: ربنا لم ترسل إلينا رسولا ولم يأتنا لك أمر ولو أرسلت إلينا رسولا لكنا أطوع عبادك. فيقول لهم ربهم : أرأيتكم إن أمرتكم بأمر تطيعوني، فيقولون أن نعم فيأمرهم أن يعمدوا إلى جهنم فيدخلوها فينطلقون حتى إذا دنوا منها وجدوا لها تغيظا وزفيرا فرجعوا إلى ربهم فيقولون ربنا أجرنا منها فيقول لهم ألم تزعموا أنى لو أمرتكم بأمر تطيعوني، فيأخذ على ذلك مواثيقهم فيقول اعمدوا إليها فادخلوا فينطلقون حتى إذ رأوها فرقوا ورجعوا فقالوا ربنا فرقنا منها ولا نستطيع أن ندخلها داخرين، فقال النبى ﷺ لو دخلوها أول مرة كانت عليهم بردا وسلاما. قال الحاكم صحيح على شرط البخارى[٣٦] ومسلم[٣٧].

---

(٣٥) هو ثوبان بن بجدد ويقال ابن جحدر أبو عبد الله ويقال أبو عبد الرحمن الهاشمي مولى النبى ﷺ، قيل أصله من اليمن أصابه سبى فاشتراه النبى ﷺ فأعتقه. روى عنه أبو أسماء الرحبي ومعدان ابن أبى طلحة اليعمرى وأبوحى المؤذن وراشد بن سعد وجبير بن نفير وعبد الرحمن بن غنم وأبو عامر الألهاني وأبو إدريس الخولاني وجماعة . مات سنة ٥٤هـ.

(٣٦) هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن المغيرة الجعفي مولاهم صاحب الصحيح، روى عن الإمام أحمد وإبراهيم بن المنذر وابن المديني وآدم بن أبى إياس وقتيبة وخلق، وعنه مسلم والترمذى وإبراهيم الحربي وابن أبى الدنيا وأبو حاتم والمحاملي والفربرى وغيرهم. ولد سنة ١٩٤هـ ومات سنة ٢٥٦هـ، له عدة مصنفات منها التاريخ والأدب المفرد والقراءة خلف الإمام.

(٣٧) هو مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى أبو الحسن النيسابورى الإمام الحافظ

الحديث السابع : أخرج الطبراني[٣٨] وأبو نعيم[٣٩] عن معاذ بن جبل[٤٠] عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : يؤتى يوم القيامة بالممسوح عقلا وبالهالك فى الفترة وبالهالك صغيرا فيقول الممسوح عقلا يا رب لو آتيتنى عقلا ما كان من آتيته عقلا بأسعد لعقله منى ،

= صاحب الصحيح، روى عن قتيبة وعمرو الناقد وابن المثنى وابن يسار وأحمد وإسحاق وخلق. وعنه الترمذى وأبو عوانة وابن صاعد وخلق. مات سنة ٢٦١هـ؛ له عدة مصنفات منها التمييز والعلل والوحدان والأفراد وأوهام المحدثين وغيرهم.

(٣٨) هو الإمام العلامة الحجة بقية الحفاظ أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمى الشامى، ولد بعكا سنة ٢٦٠هـ ومات سنة ٣٦٠هـ، له عدة مصنفات مشهورة منها النوادر ومسند شعبة ومسند سفيان ومسند الشاميين وغيرهم.

(٣٩) هو الحافظ الكبير والمحدث أحمد بن عبد الله بن إسحاق بن موسى بن مهران المهرانى الأصبهانى الصوفى الأحول، سبط الزاهد محمد بن يوسف البناء، ولد سنة ٣٣٦هـ ومات سنة ٤٣٠هـ، له عدة مصنفات منها الحلية ودلائل النبوة وصفة الجنة والمستخرج على البخارى والمستخرج على مسلم ومعرفة الصحابة وأخبار أصبهان وفضائل الصحابة وغيرهم.

(٤٠) هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ الأنصارى الخزرجى أبو عبد الرحمن المدنى، أسلم وهو ابن ثمانى عشرة سنة، وشهد بدرا والعقبة والمشاهد وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم، وعنه ابن عباس وأبو موسى الأشعرى وابن عمرو وابن عمر وعبد الرحمن بن سمرة وابن أبى أوفى وأنس وجابر وأبو الطفيل وعبد الرحمن بن غنم وأبو مسلم الخولانى. مات سنة ١٧هـ.

وذكر الهالك فى الفترة والصغير نحو ذلك، فيقول الرب : إنى آمركم بأمر فتطيعونى فيقولون نعم فيقول اذهبوا فادخلوا النار، قال ولو دخلوها ما ضرتهم، فتخرج عليهم فرائص فيظنون أنها قد أهلكت ما خلق الله من شئ فيرجعون سراعا ثم يأمرهم الثانية فيرجعون كذلك، فيقول الرب : قبل أن أخلقكم علمت ما أنتم عاملون، وعلى علمى تصيرون، ضميهم، فتأخذهم. قال الكيا الهراسى(٤١) فى تعليقه فى الأصول فى مسألة شكر المنعم : اعلم أن الذى استقر عليه آراء أهل السنة قاطبة أنه لا مدرك للأحكام سوى الشرع المنقول، ولا يتلقى من قضيات العقول، فأما من عدا أهل الحق من طبقات الخلق كالرافضة (٤٢) والكرامية (٤٣) والمعتزلة وغيرهم فإنهم ذهبوا إلى أن الأحكام منقسمة، فمنها ما يتلقى من الشرع المنقول ومنها ما يتلقى من قضيات العقول، قال : وأما نحن فنقول : لا يجب شىء قبل مجيىء الرسول، فإذا ظهر وأقام المعجزة يمكن العاقل من النظر فنقول لا يعلم أول الواجبات إلا بالسمع فإذا جاء الرسول وجب عليه النظر، وعند هذا يسأل المستطرفون

(٤١) هو أبو الحسن عماد الدين على بن محمد الطبرى المعروف بالكيا الهراسى (ألكيا) الكبير بلغة الفارسى (والهراسى) الخالف، فقيه قاض مفسر، ولد بطبرستان سنة ٤٥٠هـ وانتقل إلى بيهق فدرس بها مدة، ثم رحل إلى بغداد ودرس بالنظامية ووعظ واتهم بمذهب الباطنية فرجم، وأراد السلطان قتله فحماه المستظهر وشهد له، من تصانيفه أحكام القرآن، مات سنة ٥٠٤هـ.

(٤٢) لهم تفاصيل فى كتاب الفرق بين الفرق للبغدادى ١٥ ـ ١٧

(٤٣) لهم آراء غريبة وعجيبة. انظر الملل والنحل للشهرستانى.

فيقولون : ما الواجب الذى هو طاعة وليس بقربة؟ وجوابه أن النظر هو أول الواجبات طاعة وليس بقربة لأنه ينظر للمعرفة فهو مطيع وليس بمتقرب لأنه إنما يتقرب إلى من يعرفه. قال : وذكر شيخنا الإمام فى هذا المقام شيئا حسنا فقال : قبل مجيىء الرسول يتعارض الخواطر والطرق إذ ما من خاطر يعرض له إلا ويمكن أن يقدر أن يخطر خاطر آخر على نقيضه فيتعارض الخواطر ويقع العقل فى حيرة ودهشة. فيجب التوقف إلى أن تتكشف الغمة، وليس ذلك إلا لمجيىء الرسول وههنا قال الأستاذ أبو إسحاق إن قول لا أدرى نصف العلم، ومعناه أنه انتهى علمى إلى حد وقف عنده مجاوزة العقل، وهذا إنما يقوله من وقف فى العلم وعرف مجارى العقل مما لا يجرى فيه، ووقف عنده. انتهى.

وقال الإمام فخر الدين الرازى فى المحصول : شكر المنعم لا يجب عقلا خلافا للمعتزلة. لنا أنه لو تحقق الوجوب قبل البعثة لعذب تاركه، ولا تعذيب قبل البعث، فلا وجوب، أما الملازمة فبينة وأما أنه لا تعذيب فلقوله سبحانه وتعالى ﴿ **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا**﴾ بقى التعذيب إلى غاية البعثة فيتبقى وإلا وقع الخلف فى قول الله وهو محال. انتهى.

وذكر أتباعه مثل ذلك كصاحب الحاصل والتحصيل والبيضاوى فى (منهاجه) وقال القاضى تاج الدين السبكى[٤٤] فى (شرح مختصر ابن

---

(٤٤) هو الإمام الفقيه المحدث الحافظ المفسر الأصولى النحوى اللغوى الأديب المجتهد تقى الدين أبو الحسن على بن عبد الكافى بن على. أخذ الفقه عن ابن –

الحاجب)[٤٥] على مسألة شكر المنعم : فيخرج من لم تبلغه الدعوة فعندنا يموت ناجيا ولا يقاتل حتى يدعى إلى الإسلام وهو مضمون بالكفارة والدية ولا يجب القصاص على قاتله على الصحيح، وقال البغوى فى التهذيب : أما من لم تبلغه الدعوة فلا يجوز قتله قبل أن يدعى إلى الإسلام فإن قتل قبل أن يدعى إلى الإسلام وجب فى قتله الدية والكفارة. وعند أبى حنيفة رحمه الله لا يجب الضمان بقتله، وأصله أنه عندهم محجوج عليه قبل بلوغ الدعوة إليه بقوله تعالى ﴿ **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا**﴾ فثبت أنه لاحجة عليه قبل مجيىء الرسول، انتهى.

وقال الرافعى[٤٦] فى (الشرح) من لم تبلغه الدعوة لا يجوز قتله قبل الإعلام والدعاء إلى الإسلام، ولو قتل كان مضمونا خلافا لأبى حنيفة، وبنى الخلاف على أنه محجوج عليه بالعقل عنده، وعندنا من لم تبلغه الدعوة لا تثبت عليه الحجة ولا تتوجه المؤاخذة. قال تعالى ﴿ **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا**﴾ انتهى، وقال الغزالى فى

= الرفعة والحديث عن الشرف الدمياطى والقراءات عن التقى الصائغ والأصلين والمعقول عن العلاء الباجى والخلاف والمنطق عن السيف البغدادى، والنحو عن أبى حيان، والتصوف عن التاج بن عطاء. مات سنة ٧٥٦هـ.

(٤٥) هو عز الدين ابن الحاجب الحافظ العالم المفيد أبو الفتح عمر بن محمد بن منصور الدمشقى سمع الكثير وعمل المعجم عن ألف ومائة وثمانين شيخا، ومعجم الأماكن . مات سنة ٦٣٠هـ.

(٤٦) هو أبو الفضل محمد بن عبد الكريم بن فضل القزوينى، وكان ممن خص بعفة الذيل، وحسن السيرة فى العلم والعبادة وذلاقة اللسان وقوة الجنان والصلابة فى الدين مات سنة ٥٠٨هـ.

(البسيط) من لم تبلغه الدعوة يضمن بالدية والكفارة لا بالقصاص على الصحيح لأنه ليس مسلما على التحقيق، وإنما هو فى المعنى المسلم، وقال ابن الرفعة[٤٧] فى (الكفاية) لأنه مولود على الفطرة ولم يظهر منه عناد، وقال النووى[٤٨] فى (شرح مسلم) فى مسألة أطفال المشركين : المذهب الصحيح المختار الذى صار إليه المحققون أنهم فى الجنة، لقوله تعالى ﴿ **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا**﴾ قال وإذا كان لا يعذب البالغ لكونه لم تبلغه الدعوة فغيره أولى. انتهى.

فإن قلت : هذا المسلك الذى قدرته هل هو عام فى أهل الجاهلية كلهم؟ قلت : لا بل هو خاص لمن لم تبلغه دعوة نبى أصلا أما من بلغته منهم دعوة أحد من الأنبياء السابقين ثم أصر على كفره فهو فى النار قطعا. وهذا لا نزاع فيه وأما الأبوان الشريفان فالظاهر من حالهما ما ذهبت إليه هذه الطائفة من عدم بلوغهما دعوة أحد، وذلك لمجموع أمور: تأخر زمانهما وبعد ما بينهما وبين الأنبياء السابقين فإن آخر الأنبياء قبل بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم عيسى عليه السلام، وكانت الفترة بينه وبين بعثة نبينا نحو ستمائة سنة ثم إنهما كانا فى زمن

---

(٤٧) له ذكر فى طبقات الحفاظ للسيوطى.

(٤٨) هو الإمام محيى الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مرى الحورانى الشافعى، ولد سنة ٦٣١هـ ومات سنة ٦٧٦هـ، قدم دمشق سنة ٦٤٩هـ وحج مرتين، وسمع من الرضى ابن البرهان والنعمان بن أبى اليسر والطبقة، وصنف التصانيف منها شرح مسلم والروضة وشرح المهذب والمنهاج والتحقيق والأذكار ورياض الصالحين والإرشاد والتقريب وغيرها.

جاهلية، وقد طبق الجهل الأرض شرقا وغربا وفقد من يعرف الشرائع ويبلغ الدعوة على وجهها إلا نفر يسير من أحبار أهل الكتاب مزقت فى أقطار الأرض كالشام وغيرها، ولم يعهد لهما تقلب فى الأسفار سوى المدينة ولا عمرا عمرا طويلا بحيث يقع لهما فيه التنقيب والتفتيش، فإن والد النبى صلى الله عليه وسلم لم يعش من العمر إلا قليلا، قال الإمام الحافظ صلاح الدين العلائى[49] فى كتابه (الدرة السنية فى مولد سيد البرية) كان سن عبد الله حين حملت منه آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم نحو ثمانية عشر عاما ثم ذهب إلى المدينة ليمتار منها تمرا لأهله فمات بها عند أخواله من بنى النجار، والنبى صلى الله عليه وسلم حمل على الصحيح، انتهى. وأمه قريبة من ذلك ولا سيما وهى امرأة مصونة محجبة فى البيت عن الاجتماع بالرجال، والغالب على النساء أنهن لا يعرفن ما الرجال فيه من أمر الديانات والشرائع خصوصا فى زمان الجاهلية الذى رجاله لا يعرفون ذلك فضلا عن نسائه، ولهذا لما بعث النبى صلى الله عليه وسلم تعجب من بعثته أهل مكة وقالوا **﴿ أبعث الله بشرا رسولا﴾ و﴿ وقالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا فى آبائنا الأولين﴾** فلو كان عندهم علم من بعثة الرسل ما أنكروا

---

(٤٩) هو الفقيه ذو الفنون صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلدى الشافعى عالم بيت المقدس. ولد سنة ٦٩٤هـ ومات سنة ٧٦١هـ، سمع التقى سليمان وطبقته ولازم البرهان الفزارى والكمال الزملكانى، له عدة مصنفات منها الأربعين فى أعمال المتقين والقواعد المشهورة وعلوم آيات الفرائض. وخرج ودرس بأماكن منها الناصرية والأسدية والصلاحية بالقدس والتنكرية وغير ذلك .

ذلك، وربما كانوا يظنون أن إبراهيم بعث بما هم عليه فإنهم لم يجدوا من يبلغهم شريعة إبراهيم على وجهها لدثورها وفقد من يعرفها إذ كان بينهم وبين زمن إبراهيم أزيد من ثلاثة آلاف سنة، فاتضح بذلك صحة دخولهما فى هذا المسلك ، ثم رأيت الشيخ عز الدين بن عبد السلام قال فى (أماليه) ما نصه : كل نبى إنما أرسل إلى قومه إلا نبينا صلى الله عليه وسلم. قال فعلى هذا يكون ما عدا قوم كل نبى من أهل الفترة إلا ذرية النبى السابق فإنهم مخاطبون ببعثة السابق إلا أن تدرس شريعة السابق فتصير الكل من أهل الفترة. هذا كلامه فبان بذلك أن الوالدين الشريفين من أهل الفترة بلا شك، لأنهما ليسا من ذرية عيسى ولا من قومه، ثم ترشح مما قال حافظ العصر أبو الفضل ابن حجر(٥٠) أن الظن بهما أن يطيعا عند الامتحان أمران أحدهما : ما أخرجه الحاكم فى (المستدرك) وصححه عن ابن مسعود(٥١) قال : قال شاب من الأنصار :

---

(٥٠) هو قاضى القضاة شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على بن محمد بن محمد ابن على الكنانى والعسقلانى ثم المصرى الشافعى، ولد سنة ٧٧٣هـ ومات سنة ٨٥٢هـ، له عدة مصنفات منها شرح البخارى وتعليق التعليق والتشويق إلى وصل التعليق والتوفيق وتهذيب التهذيب، وتقريب التهذيب ولسان الميزان والإصابة فى تمييز الصحابة ونكت ابن الصلاح وأسباب النزول وتعجيل المنفعة برجال الأربعة والمدرج والمقترب فى المضطرب وغيرها.

(٥١) هو عبد الله بن مسعود أبو عبد الرحمن الهذلى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخادمه وأحد السابقين الأولين ومن كبار البدريين ومن نبلاء الفقهاء المقرئين كان ممن يتحرى فى الأداء، ويشدد فى الرواية ويزجر=

لم أر رجلا كان أكثر سؤالا لرسول الله ﷺ منه : يا رسول الله أرأيت أبويك فى النار؟ فقال ما سألتهما ربى فيعطينى فيهما وإنى لقائم يومئذ المقام المحمود. فهذا الحديث يشعر بأنه مرتج لهما الخير عند قيامه المقام المحمود، وذلك بأن يشفع لهما فيوفقا للطاعة إذا امتحنا حينئذ كما يمتحن أهل الفترة، ولا شك فى أنه يقال عند قيامه ذلك المقام سل تعط واشفع تشفع، كما فى الأحاديث الصحيحة فإذا سأل ذلك أعطيه.

والأمر الثانى : ما أخرجه ابن جرير فى تفسيره عن ابن عباس فى قوله تعالى ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ (٥٢) قال من رضى محمد صلى الله عليه وسلم أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار، ولهذا عمم الحافظ ابن حجر فى قوله : الظن بأهل بيته كلهم أن يطيعوا عند الامتحان. وحديث ثالث أخرج أبو سعيد فى (شرف النبوة) والملا فى سيرته عن عمران بن حصين(٥٣) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سألت ربى أن لا يدخل النار أحدا من أهل بيتى فأعطانى ذلك.

= تلامذته عن التهاون فى ضبط الألفاظ. وكان من أوعية العلم وأئمة الهدى. مات بالمدينة سنة ٣٢هـ.

(٥٢) ٥ك الضحى ٩٢

(٥٣) هو عمران بن حصين أبو نجيد الخزاعى، كان ممن بعثهم عمر بن الخطاب إلى أهل البصرة ليفقههم، وولى قضاء البصرة وكان الحسن يحلف بالله ما قدم البصرة أحد خير لهم من عمران بن حصين، حدث عنه زرارة والحسن ومحمد ابن سيرين وآخرون. مات سنة ٥٢هـ.

أورده الحافظ محب الدين الطبرى[٥٤] فى كتابه (ذخائر العقبى) وحديث رابع أصرح من هذين أخرج تميم الدارى[٥٥] فى فوائده بسند ضعيف عن ابن عمر[٥٦] قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا كان يوم القيامة شفعت لأبى وأمى وعمى أبى طالب وأخ لى كان فى الجاهلية. أورده المحب الطبرى، وهو من الحفاظ والفقهاء فى (كتابه ذخائر العقبى فى مناقب ذوى القربى) وقال إن ثبت فهو مؤول فى أبى طالب على ما ورد فى الصحيح من تخفيف العذاب عنه بشفاعته، انتهى. وإنما احتيج إلى تأويله فى أبى طالب دون ثلاثة أبيه وأمه وأخيه يعنى من الرضاعة لأن أبا طالب أدرك البعثة ولم يسلم، والثلاثة ماتوا فى الفترة، وقد ورد هذا الحديث من طريق آخر أضعف من هذا الطريق من حديث ابن عباس أخرجه أبو نعيم وغيره وفيه التصريح بأن الأخ

---

(٥٤) هو المحب الطبرى الإمام المحدث فقيه الحرم أبو العباس أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبى بكر المكى الشافعى. مصنف الأحكام الكبرى وشيخ الشافعية ومحدث الحجاز، ولد سنة ٦١٥هـ وسمع من ابن المقبر وابن الجميزى وشعيب الزعفرانى ، ومات سنة ٦٩٤هـ.

(٥٥) له ترجمة وافية فى تهذيب التهذيب.

(٥٦) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب أبو عبد الرحمن العدوى المدنى الفقيه أحد الأعلام فى العلم والعمل شهد الخندق، وهو من أهل بيعة الرضوان، وممن كان يصلح للخلافة. فعين لذلك يوم الحكمين مع وجود مثل الإمام على وفاتح العراق سعد ونحوهما رضى الله عنهما.. ومناقبه جمة أثنى عليه النبى صلى الله عليه وسلم ووصفه بالصلاح. مات سنة ٧٤هـ.

من الرضاعة عدة يشد بعضها بعضا فإن الحديث الضعيف يتقوى بكثرة طرقه وأمثلها حديث ابن مسعود فإن الحاكم صححه، ومما ينضم إلى ذلك وإن لم يكن صريحا فى المقصود ما أخرجه الديلمى[٥٧] عن ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أول من أشفع له يوم القيامة أهل بيتى ثم الأقرب فالأقرب. وما أورده المحب الطبرى فى (ذخائر العقبى) وعزاه لأحمد فى المناقب عن على قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا معشر بنى هاشم والذى بعثنى بالحق نبيا لو أخذت بحلقة الجنة ما بدأت إلا بكم . وما أورده أيضا وعزاه لابن جرير عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما بال أقوام يزعمون أن رحمى لا ينفع، بل حتى يبلغ حاكم وهم أحد قبيلتين[٥٨] من اليمن إنى لأشفع حتى إن من أشفع له ليشفع فليشفع حتى إن إبليس ليتطاول طمعا فى الشفاعة.

لطيفة

نقل الزركشى فى الخادم عن ابن دحية[٥٩] أنه جعل من أنواع الشفاعات التخفيف عن أبى لهب فى كل يوم اثنين لسروره بولادة

---

(٥٧) له ذكر وترجمة فى تهذيب التهذيب.

(٥٨) ورد فى الأصل قبيلة

(٥٩) هو الحافظ الكبير أبو الخطاب عمر بن حسن بن على بن محمد بن فرج بن خلف الأندلسى الدانى السبتى، ثقة مات سنة ٦٣٣هـ.

النبى صلى الله عليه وسلم وإعتاقه ثويبة حين بشر به، قال : وإنما هى كرامة له صلى الله عليه وسلم.

تنبيه

ثم رأيت الإمام أبا عبد الله محمد بن خلف الأبى بسط الكلام على هذه المسألة فى (شرح مسلم) عند حديث إن أبى وأباك فى النار. وأورد قول النووى فيه أن من مات كافراً فى النار ولا تنفعه قرابة الأقربين ثم قال : قلت : انظر هذا الإطلاق، وقد قال السهيلى[٦٠] ليس لنا أن نقول ذلك فقد قال صلى الله عليه وسلم : لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات.

وقال الله تعالى ﴿ **إن الذين يؤذون الله ورسوله** ﴾ [٦١] ولعله يصح ما جاء أنه صلى الله عليه وسلم سأل الله سبحانه فأحيا له أبويه فآمنا، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فوق هذا ولا يعجز الله سبحانه شىء، ثم أورد قول النووى وفيه أن من مات فى الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الأوثان فى النار وليس هذا من التعذيب قبل بلوغ الدعوة لأنه بلغتهم دعوة إبراهيم وغيره من الرسل، ثم قال قلت :

---

(٦٠) هو الحافظ أبو القاسم وأبو زيد عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الأندلسى المالقى صاحب الروض الأنف والتعريف فى مهمات القرآن. ولد سنة ٥٠٨ هـ ومات سنة ٥٨١هـ، سمع من ابن العربى وطائفة وأخذ اللغة والأدب عن ابن الطراوة والقراءات عن أبى داود الصغير سليمان بن يحيى.

(٦١) ٥٧م الأحزاب٣٣

تأمل ما فى كلامه من التنافى فإن بلغتهم الدعوة ليسوا بأهل الفترة فإن أهل الفترة هم الأمم الكائنة بين أزمنة الرسل الذين لم يرسل إليهم الأول ولا أدركوا الثانى كالأعراب الذين لم يرسل إليهم عيسى ولا لحقوا النبى صلى الله عليه وسلم، والفترة بهذا التفسير ما بين كل رسولين، ولكن الفقهاء إذا تكلموا فى الفترة فإنما يعنون التى بين عيسى والنبى صلى الله عليه وسلم، ولما دلت القواطع على أنه لا تعذيب حتى تقوم الحجة علمنا أنهم غير معذبين.

فإن قلت : صحت أحاديث بتعذيب أهل الفترة كصاحب الحجن وغيره. قلت : أجاب عن ذلك عقيل بن أبى طالب بثلاثة أجوبة : الأول: أنها أخبار آحاد فلا تعارض القاطع. الثانى : قصر التعذيب على هؤلاء والله أعلم بالسبب . الثالث : قصر التعذيب فى هذه الأحاديث على من بدل وغير الشرائع وشرع من الضلال ما لا يعذر به، فإن أهل الفترة ثلاثة أقسام:

الأول : من أدرك التوحيد ببصيرته ثم من هؤلاء من لم يدخل فى شريعة كقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل، ومنهم من دخل بشريعة قائمة للرسل كتبع وقومه.

القسم الثانى : من بدل وغير وأشرك ولم يوحد وشرع لنفسه فحلل وحرم، وهم الأكثر كعمرو بن لحى أول من سن للعرب عبادة الأوثان وشرع الأحكام فبحر البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصيلة وحمى

الحامى. وزادت طائفة من العرب على ما شرعه أن عبدوا الجن والملائكة وخرقوا البنين والبنات واتخذوا بيوتا لها سدنة وحجابا يضاهون الكعبة كاللات والعزى ومناة.

القسم الثالث : من لم يشرك ولم يوحد ولا دخل فى شريعة نبى ولا ابتكر لنفسه شريعة ولا اخترع دينا بل بقى عمره على حال غفلة عن هذا كله، وفى الجاهلية من كان كذلك.

فإذا انقسم أهل الفترة إلى ثلاثة أقسام فيحمل من صح تعذيبه على أهل القسم الثانى لكفرهم بما لا يعذرون به، وأما القسم الثالث فهم أهل الفترة حقيقة، وهم غير معذبين للقطع كما تقدم، وأما القسم الأول فقد قال صلى الله عليه وسلم فى كل من قس وزيد أنه يبعث أمة وحده، وأما تبع ونحوه فحكمهم حكم أهل الدين الذين دخلوا فيه ما لم يلحق أحد منهم الإسلام الناسخ لكل دين. انتهى ما أورده الأبى.

المسلك الثانى

أنهما لم يثبت عنهما شرك بل كانا على الحنيفية دين جدهما إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام. كما كان على ذلك طائفة من العرب كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وغيرهما، وهذا المسلك ذهبت إليه طائفة منهم الإمام فخر الدين الرازى فقال فى كتابه (أسرار

التنزيل) ما نصه قيل : إن آزر لم يكن والد إبراهيم بل كان عمه، واحتجوا عليه بوجوه . منها : أن آباء الأنبياء ما كانوا كفارا ويدل عليه وجوه . منها قوله تعالى ﴿ **الذى يراك حين تقوم * وتقلبك فى الساجدين**﴾ [٦٢] قيل معناه أنه كان ينقل نوره من ساجد إلى ساجد وبهذا التقدير الآية دالة على أن جميع آباء محمد صلى الله عليه وسلم كانوا مسلمين، وحينئذ يجب القطع بأن والد إبراهيم ما كان من الكافرين، إنما ذاك عمه، أقصى ما فى الباب أن يحمل قوله تعالى ﴿**وتقلبك فى الساجدين**﴾ على وجوه أخر، وإذا وردت الروايات بالكل ولا منافاة بينها وجب حمل الآية على الكل، ومتى صح ذلك ثبت أن والد إبراهيم ما كان من عبدة الأوثان. ثم قال : ومما يدل على أن آباء محمد ما كانوا مشركين قوله عليه الصلاة والسلام: لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات. وقال تعالى ﴿ **إنما المشركون نجس**﴾ [٦٣] . فوجب أن لا يكون أحد من أجداده مشركا. هذا كلام الإمام فخر الدين الرازى بحروفه وناهيك به إمامة وجلالة فإنه إمام أهل السنة فى زمانه والقائم بالرد على الفرق المبتدعة فى وقته والناصر لمذهب الأشاعرة فى عصره، وهو العالم المبعوث على رأس المائة السادسة لهذه الأمة يجدد لها أمر دينها. وعندى فى نصرة هذا المسلك وما ذهب إليه الإمام فخر الدين أمور أحدها : دليل استنبطه

---

(٦٢) ٢١٨، ٢١٩ك الشعراء ٢٦

(٦٣) ٢٨م التوبة ٩

مركب من مقدمتين : الأولى : أن الأحاديث الصحيحة دلت على أن كل أصل من أصول النبى صلى الله عليه وسلم من آدم إلى أبيه عبد الله فهو خير أهل قرنه وأفضلهم ولا أحد فى قرنه ذلك خير منه ولا أفضل . الثانية : أن الأحاديث والآثار دلت على أنه لم تخلُ الأرض من عهد نوح أو آدم إلى بعثة النبى صلى الله وسلم إلى أن تقوم الساعة من ناس على الفترة يعبدون الله ويوحدونه ويصلون له، وبهم تحفظ الأرض ولولاهم لهلكت الأرض ومن عليها. وإذا قرنت بين هاتين المقدمتين أنتج منها قطعا بأن آباء النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن فيهم مشرك لأنه قد ثبت فى كل منهم أنه خير قرنه، فإن كان الناس الذين على الفترة هم آباؤهم فهو المدعى وإن كان غيرهم وهم على الشرك لزم أحد الأمرين إما أن يكون المشرك خيرا من المسلم وهو باطل بالإجماع، وإما أن يكون غيرهم خيرا منهم وهو باطل لمخالفته الأحاديث الصحيحة، فوجب قطعا ألا يكون فيهم مشرك ليكونوا خير أهل الأرض فى كل قرنه.

ذكر أدلة المقدمة الأولى

أخرج البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بعثت من خير قرون بنى آدم قرنا فقرنا حتى بعثت من القرن الذى كنت فيه. وأخرج البيهقى فى دلائل النبوة عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ما افترق الناس فرقتين إلا جعلنى الله فى خيرهما فأخرجت من بين أبوى فلم يصبنى

شيء من عهد الجاهلية، وخرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم حتى انتهيت إلى أبى وأمى فأنا خيركم نفسا وخيركم أبا.

وأخرج أبو نعيم فى (دلائل النبوة) من طرق عن ابن عباس قال قال النبى صلى الله عليه وسلم : لم يزل الله ينقلنى من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفى مهذبا لا تتشعب شعبتان إلا كنت فى خيرهما.

وأخرج مسلم والترمذى وصححه عن واثلة بن الأسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من ولد إسماعيل بنى كنانة واصطفى من بنى كنانة قريشا واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم. وقد أخرجه الحافظ أبو القاسم حمزة بن يوسف(٦٤) السهمى فى (فضائل العباس) من حديث واثلة بلفظ : إن الله اصطفى من ولد آدم إبراهيم واتخذه خليلا واصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل ثم اصطفى من ولد إسماعيل نزارا ثم اصطفى من ولد نزار مضر ثم اصطفى من مضر كنانة ثم اصطفى من كنانة قريشا ثم اصطفى من قريش بنى هاشم ثم اصطفى من بنى هاشم بنى عبد المطلب ثم اصطفانى من بنى عبد المطلب. أورده المحب الطبرى فى (ذخائر العقبى).

---

(٦٤) هو الفقيه الإمام حمزة بن يوسف بن إبراهيم بن موسى السهمى الجرجانى من ذرية هشام بن العاص، سمع ابن عدى وابن المقرى والإسماعيلى، ثقة مات سنة ٤٢٧هـ

وأخرج ابن سعد (٦٥)في طبقاته عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خير العرب مضر وخير مضر بنو عبد مناف وخير بنى عبد مناف بنو هاشم وخير بنى هاشم بنو عبد المطلب، والله ما افترق فرقتان منذ خلق الله آدم إلا كنت فى خيرهما.

وأخرج الطبرانى والبيهقى وأبو نعيم عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله خلق الخلق فاختار من بنى آدم العرب واختار من العرب مضر واختار من مضر قريشا واختار من قريش بنى هاشم واختارنى من بنى هاشم فأنا خيار إلى خيار.

وأخرج الترمذى(٦٦) وحسنه والبيهقى عن العباس بن عبد المطلب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله حين خلقنى جعلنى خير خلقه ثم حين خلق القبائل جعلنى من خيرهم قبيلة وحين خلق الأنفس جعلنى من خير أنفسهم ثم حين خلق البيوت جعلنى من خير بيوتهم فأنا خيرهم بيتا وخيرهم نفسا.

---

(٦٥) هو محمد بن سعد بن منيع البصرى الحافظ كاتب الواقدى نزيل بغداد، روى عن أبى داود الطيالسى والواقدى وهشيم وابن عيينة والوليد بن مسلم وخلق، وعنه أبو بكر بن أبى الدنيا والحارث بن أسامة، ثقة مات سنة ٢٣٠هـ.

(٦٦) هو أبو عيسى الترمذى محمد بن عيسى بن سورة بن الضحاك السلمى صاحب الجامع والعلل، روى عنه محمد بن المنذر شكر والهيثم بن كليب وأبو العباس المحبوبى مات سنة ٢٧٩هـ.

وأخرج الطبرانى والبيهقى وأبو نعيم عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله قسم الخلق قسمين فجعلنى فى خيرهما قسما ثم جعل القسمين أثلاثا فجعلنى فى خيرها ثلثا، ثم جعل الأثلاث قبائل فجعلنى فى خيرها قبيلة، ثم جعل القبائل بيوتا فجعلنى فى خيرها بيتا.

وأخرج أبو على بن شاذان(٦٧) فيما أورده المحب الطبرى فى (ذخائر العقبى) وهو فى مسند البزار عن ابن عباس قال : دخل ناس من قريش على صفية بنت عبد المطلب فجعلوا يتفاخرون ويذكرون الجاهلية، فقالت صفية منا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا تنبت النخلة أو الشجرة فى الأرض اللبا، فذكرت ذلك صفية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فغضب، وأمر بلالا فنادى فى الناس فقام على المنبر فقال : أيها الناس من أنا قالوا أنت رسول الله قال انسبونى قالوا محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب، قال : فما بال أقوام ينزلون أصلى فوالله إنى لأفضلهم أصلا وخيرهم موضعا.

وأخرج الحاكم عن ربيعة بن الحارث(٦٨) قال : بلغ النبى صلى الله عليه وسلم أن قوما نالوا منه فقالوا إنما مثل محمد كمثل نخلة تنبت فى الناس، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : إن الله خلق خلقه

---

(٦٧) ثقة صاحب تصانيف روى عنه عدة علماء وفقهاء

(٦٨) هو ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمى ابن عم النبى صلى الله عليه وسلم له صحبة. ثقة مات سنة ٢٣هـ.

فجعلهم فرقتين فجعلنى فى خير الفرقتين، ثم جعلهم قبائل فجعلنى فى خيرهم قبيلا، ثم جعلهم بيوتا فجعلنى فى خيرهم بيوتا، ثم قال : أنا خيركم قبيلا وخيركم بيتا.

وأخرج الطبرانى فى (الأوسط) والبيهقى فى (الدلائل) عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال لى جبريل : قلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد رجلا أفضل من محمد ولم أجد بنى أب أفضل من بنى هاشم. قال الحافظ ابن حجر فى (أماليه) لوائح الصحة ظاهرة على صفحات هذا المتن، ومن المعلوم أن الخيرية والاصطفاء والاختيار من الله والأفضلية عنده لا تكون مع الشرك.

ذكر أدلة المقدمة الثانية

قال عبد الرزاق فى المصنف عن معمر[٧٠] عن ابن جريج قال ابن المسيب[٧١] قال على بن أبى طالب : لم يزل على وجه الدهر فى الأرض سبعة مسلمون فصاعدا، فلولا ذلك هلكت الأرض ومن عليها. هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين ومثله لا يقال من قبل الرأى فله

---

(٧٠) هو معمر بن راشد الأزدى الحرانى البصرى نزيل اليمن أبو عروة بن أبى عمرو روى عن الأعمش ومحمد بن المنكدر وقتادة والزهرى وخلق، وعنه أيوب وعمرو بن دينار وأبو إسحاق السبيعى والسفيانان وشعبة. ثقة مات سنة ١٥٢هـ وقيل ١٥٣هـ.

(٧١) هو سعيد بن المسيب بن حزن المخزومى أبو محمد المدنى سيد التابعين وفقيه الفقهاء مات سنة ٩٤هـ.

حكم الرفع، وقد أخرجه ابن المنذر فى تفسيره عن الزهرى[٧٢] عن عبد الرزاق به، وأخرج ابن جرير فى تفسيره عن شهر بن حوشب قال: لم تبق الأرض إلا وفيها أربعة عشر يدفع الله بهم عن أهل الأرض ويخرج بركتها إلا زمن إبراهيم فإنه كان وحده.

وأخرج ابن المنذر فى تفسيره عن قتادة [٧٣] فى قوله تعالى ﴿ **قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى** ﴾ [٧٤] الآية قال ما زال لله فى الأرض أولياء منذ هبط آدم ما أخلى الله الأرض لإبليس إلا وفيها أولياؤه يعملون لله بطاعته. وقال الحافظ أبو عمر بن عبد البر [٧٥] روى ابن القاسم [٧٦] عن مالك [٧٧] قال: بلغنى

---

(٧٢) ورد فى عدة مصادر: الزهرى وهو أقرب إلى الصواب، ولكن ربما يكون ابن جرير.

(٧٣) هو قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسى أبو الخطاب البصرى الأكمه، أحد الأعلام روى عن أنس وعبد الله بن سرجس وأبى الطفيل وسعيد بن المسيب والحسن البصرى وابن سيرين وخلق، وعنه أبو حنيفة وأيوب وشعبة ومسعر والأوزاعى وحماد بن سلمة وأبو عوانة، ثقة، ولد سنة ٦٠هـ ومات سنة ١١٧هـ.

(٧٤) ٣٨م البقرة ٢

(٧٥) هو الإمام الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمرى القرطبى، ولد سنة ٣٦٨هـ ومات سنة ٤٦٣هـ، له عدة مصنفات منها التمهيد والاستذكار والاستيعاب وفضل العلم وقبائل الرواة والكنى والمغازى والأنساب وغيرها.

(٧٦) هو عبد الرحمن بن القاسم بن خالد العتقى أبو عبد الله المصرى الفقيه راوية المسائل عن مالك، روى عن بكر بن مضر وابن عيينة وعدة، وعنه ابنه موسى وأصبغ بن الفرج وسحنون وآخرون، مات سنة ١٩١هـ.

(٧٧) ورد فى الموطأ.

عن ابن عباس أنه قال «لا يزال لله فى الأرض ولى ما دام فيها للشيطان ولى»[٧٨].

وأخرج الإمام أحمد بن حنبل فى (الزهد) والخلال فى (كرامات الأولياء) بسند صحيح على شرط الشيخين عن ابن عباس قال : ما خلت الأرض من بعد نوح من سبعة يدفع الله بهم عن أهل الأرض. هذا أيضا له حكم الرفع.

وأخرج الأزرقى فى (تاريخ مكة) عن زهير بن محمد[٧٩] قال : لم يزل على وجه الأرض سبعة مسلمون فصاعدا لولا ذلك لأهلكت الأرض ومن عليها.

وأخرج الجندى[٨٠] فى (فضائل مكة) عن مجاهد قال : لم يزل على الأرض سبعة مسلمون فصاعدا لولا ذلك هلكت الأرض ومن عليها.

---

(٧٨) ورد فى مفتاح كنوز السنة.

(٧٩) هو زهير بن محمد بن قمير بن شعبة المروزى نزيل بغداد، روى عن أحمد بن حنبل وأبى ثوبة الربيع بن نافع وروح بن عبادة وزكريا بن عدى والقعنبى. وعنه ابن ماجه وأبو بكر البزار والحسين المحاملى وعبد الله بن أحمد بن حنبل وأبو القاسم البغوى، ثقة مأمون مات سنة ٢٥٨هـ.

(٨٠) له ترجمة فى طبقات المفسرين.

وأخرج الإمام أحمد فى (الزهد) عن كعب [٨١] قال : لم يزل بعد نوح فى الأرض أربعة عشر يدفع الله بهم العذاب. وأخرج الخلال فى (كرامات الأولياء) عن زاذان قال : ما خلت الأرض بعد نوح من اثنى عشر فصاعدا يدفع الله بهم هم أهل الأرض.

وأخرج ابن المنذر فى تفسيره بسند صحيح عن ابن جريج فى قوله ﴿ **رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى**﴾ [٨٢] قال : فلا يزال من ذرية إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام ناس على الفترة يعبدون الله، وإنما وقع التقييد فى هذه الآثار الثلاثة بقوله من بعد نوح لأنه من قبل نوح كان الناس كلهم على الهدى.

وأخرج البزار فى مسنده وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم فى تفاسيرهم والحاكم فى (المستدرك) وصححه عن ابن عباس فى قوله تعالى ﴿ **كان الناس أمة واحدة**﴾ [٨٣] قال : بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين، قال : وكذلك هى فى قراءة عبد الله بن مسعود كان الناس أمة واحدة فاختلفوا.

وأخرج أبو يعلى والطبرانى وابن أبى حاتم بسند صحيح عن ابن

---

(٨١) هو كعب الأحبار له ترجمة وافية فى تهذيب التهذيب وخلاصة تذهيب الكمال.

(٨٢) ٤٠ك إبراهيم ١٤

(٨٣) ١٩ ك يونس ١٠

عباس فى قوله تعالى ﴿ كان الناس أمة واحدة﴾ قال على الإسلام كلهم.

وأخرج ابن أبى حاتم عن قتادة فى الآية قال : ذكر لنا أنه كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الهدى وعلى شريعة من الحق ثم اختلفوا بعد ذلك فبعث الله نوحا وكان أول رسول أرسله الله تعالى إلى أهل الأرض.

وأخرج ابن سعد فى (الطبقات) من وجه آخر عن ابن عباس قال : ما بين نوح إلى آدم من الآباء كانوا على الإسلام.

وأخرج ابن سعد من طريق سفيان بن سعيد الثورى[٨٤] عن أبيه عن عكرمة قال بين آدم ونوح عشرة كلهم على الإسلام. وفى التنزيل حكاية عن نوح على نبينا وعليه الصلاة والسلام : ﴿ رب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا﴾. وولد نوح سام مؤمن بالإجماع والنص لأنه نجا مع أبيه فى السفينة ولم ينج إلا مؤمن وفى التنزيل ﴿وجعلنا ذريته هم الباقين﴾ بل ورد فى أثر أنه كان نبيا أخرجه ابن

---

(٨٤) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى أبو عبد الله الكوفى أحد الأئمة الأعلام روى عن أبيه وزياد بن علاقة وحبيب بن أبى ثابت وأيوب وجعفر الصادق وخلق، وعنه ابن المبارك ويحيى القطان وعلى بن الجعد أمير المؤمنين فى الحديث، ولد سنة ٩٧هـ ومات سنة ١٦١هـ.

سعد فى (الطبقات) والزبير بن بكار[٨٥] فى (الموقفيات) وابن عساكر[٨٦] فى (تاريخه) عن الكلبى، وولده أرفخشد صرح بإيمانه فى أثر عن ابن عباس أخرجه ابن عبد الحكم[٨٧] (فى تاريخ مصر) وفيه أنه أدرك جده نوحا وأنه دعا له أن يجعل الله الملك والنبوة فى ولده، ومن ولد أرفخشد إلى تارخ ورد التصريح بإيمانهم فى أثر. أخرج ابن سعد فى (الطبقات) من طريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس أن نوحا على نبينا وعليه الصلاة والسلام لما هبط من السفينة هبط إلى قرية فبنى كل رجل منهم بيتا فسميت سوق الثمانين، فغرق بنو قابيل كلهم وما بين نوح إلى آدم من الآباء كانوا على الإسلام، فلما ضاقت بهم

(٨٥) هو الزبير بن بكار بن عبد الله بن مصعب الزبيرى الأسدى المدنى قاضى مكة روى عن إبراهيم بن المنذر وإسماعيل بن أبى أويس وأبى ضمرة أنس بن عياض وابن عيينة، وعنه ابن ماجه وثعلب النحوى والحسن بن إسماعيل المحاملى وابن أبى الدنيا، ألف كتاب السنن وأخبار المدينة، مات سنة ٢٥٦هـ.

(٨٦) هو الإمام الكبير ثقة الدين على بن الحسن بن هبة الله بن الحسين الدمشقى الشافعى صاحب تاريخ دمشق وأطراف السنن الأربعة وعوالى مالك وغرائب مالك وفضل أصحاب الحديث ومناقب الشبان وعوالى الثورى ومسند أهل داريا وتاريخ المزة. ولد سنة ٤٩٩هـ ومات سنة ٥٧١هـ هو إمام المحدثين فى وقته، انتهت إليه الرياسة فى الحفظ والإتقان والثقة والمعرفة التامة، وإليه ختم هذا الشأن.

(٨٧) هو محمد بن عبد الله بن عبد الحكم المصرى الفقيه، روى عن أبيه والشافعى والقعنبى وخلق. وعنه النسائى ووثقه . مات سنة ٢٦٨هـ.

سوق الثمانين تحولوا إلى بابل فبنوها فكثروا بها حتى بلغوا مائة ألف وهم على الإسلام، ولم يزالوا على الإسلام وهم ببابل حتى ملكهم نمرود بن كوش بن كنعان بن حام بن نوح، فدعاهم نمرود إلى عبادة الأوثان ففعلوا.

هذا لفظ الأثر فعرف من مجموع هذه الآثار أن أجداد النبى صلى الله عليه وسلم كانوا مؤمنين بيقين من آدم إلى زمن نمرود وفى زمنه كان إبراهيم عليه السلام وآزر فإن كان آزر والد إبراهيم فيستثنى من سلسلة النسب، وإن كان عمه فلا استثناء فى هذا القول أعنى أن آزر ليس أبا إبراهيم كما ورد عن جماعة من السلف. أخرج ابن أبى حاتم بسند ضعيف عن ابن عباس فى قوله تعالى ﴿ وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر ﴾[88] قال إن أبا إبراهيم لم يكن اسمه آزر وإنما كان اسمه تارخ .

وأخرج ابن أبى شيبة[89] وابن المنذر وابن أبى حاتم من طرق بعضها صحيح عن مجاهد قال: ليس آزر أبا إبراهيم.

وأخرج ابن المنذر بسند صحيح عن ابن جريج فى قوله تعالى ﴿ وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر﴾ قال ليس آزر بأبيه إنما هو إبراهيم بن تيرخ

---

(88) ٧٤ك الأنعام٦

(89) هو أبو بكر بن أبى شيبة عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العبسى مولاهم الكوفى الحافظ، روى عن شريك وهشيم وابن المبارك وابن عيينة وغندر وخلق، وعنه البخارى ومسلم وأبو داود وابن ماجه وأبو زرعة وأبو حاتم وأبو يعلى وخلق. مات سنة ٢٣٥هـ.

أو تارخ بن شارخ بن ناخور بن فاطم.

وأخرج ابن أبى حاتم بسند صحيح عن السدى[٩٠] أنه قيل له اسم أبى إبراهيم آزر فقال بل اسمه تارخ. وقد وجه من حيث اللغة بأن العرب كانوا يطلقون لفظ الأب على العم إطلاقا شائعا، وإن كان مجازا وفى (التنزيل) ﴿ **أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق**﴾ وأطلق على إسماعيل لفظ الأب وهو عم يعقوب كما أطلق على إبراهيم وهو جده.

أخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس أنه كان يقول الجد أب ويتلو: ﴿ **قالوا نعبد إلهك وإله آبائك**﴾ وأخرج عن أبى العالية فى قوله تعالى ﴿ **وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل**﴾ قال سمى العم أبا.

وأخرج عن محمد بن كعب القرظى قال : الخال والد والعم والد، وتلا هذه الآية، فهذه أقوال السلف من الصحابة والتابعين فى ذلك، ويرشحه ما أخرجه ابن المنذر فى تفسيره بسند صحيح عن سليمان بن صرد[٩١] قال : لما أردوا أن يلقوا إبراهيم فى النار جعلوا يجمعون

---

(٩٠) له ترجمة وافيه فى تهذيب التهذيب.

(٩١) هو سليمان بن صرد بن الجون أبو مطرف الكوفى له صحبة، روى عنه أبو إسحاق السبيعى ويحيى بن يعمر وعدى بن ثابت وعبد الله بن يسار الجهنى ثقة مات سنة ٩٣هـ.

الحطب حتى إن كانت العجوز لتجمع الحطب فلما أرادوا أن يلقوه فى النار قال : حسبى الله ونعم الوكيل : فلما ألقوه قال الله : يا نار كونى بردا وسلاما على إبراهيم. فقال عم إبراهيم: من أجلى دفع عنه فأرسل الله عليه شرارة من النار فوقعت على قدمه فاحترقته. فقد صرح فى هذا الأثر أن آزر عم إبراهيم وفيه فائدة أخرى، وهى أنه هلك فى أيام إلقاء إبراهيم فى النار، وقد أخبر الله سبحانه فى القرآن بأن إبراهيم ترك الاستغفار له لما تبين له أنه عدو لله، ووردت الآثار بأن ذلك تبين له لما مات مشركا وأنه لم يستغفر له بعد ذلك.

وأخرج ابن أبى حاتم بسند صحيح عن ابن عباس قال : ما زال إبراهيم يستغفر لأبيه حتى مات. فلما تبين له أنه عدو لله فلم يستغفر له.

وأخرج عن محمد بن كعب[٩٢] وقتادة ومجاهد والحسن[٩٣] وغيرهم

---

(٩٢) هو محمد بن كعب بن سليم بن أسد القرظى أبو حمزة وقيل أبو عبد الله المدنى من حلفاء الأوس، روى عن العباس بن عبد المطلب وعلى بن أبى طالب وابن مسعود وعمرو بن العاص وأبى ذر وأبى الدرداء، وهو من أفاضل أهل المدينة علماً وفقهاً وكان يقص فى المسجد فسقط عليه وعلى أصحابه سقف فمات هو وجماعة سنة ١٠٨هـ وقيل سنة ١١٨هـ.

(٩٣) هو الحسن بن أبى الحسن يسار البصرى أبو سعيد مولى زيد بن ثابت وقيل جابر بن عبد الله وقيل أبو اليسر، ثقة مات سنة ١١٠هـ.

قالوا : كان يرجوه فى حياته فلما مات على شركه تبرأ منه ثم هاجر إبراهيم عقيب واقعة النار إلى الشام كما نص الله على ذلك فى القرآن، ثم بعد مدة من مهاجره دخل مصر واتفق له فيها مع الجبار ما اتفق بسبب سارة وأخدمه هاجر ثم رجع إلى الشام ثم أمره الله بنقلها وولدها إسماعيل إلى مكة فنقلهما ودعا، فقال ﴿ ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع﴾ إلى قوله ﴿ ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب﴾. فاستغفر لوالديه، وذلك بعد هلاك عمه بمدة طويلة، فيستنبط من هذا أن المذكور فى القرآن بالكفر والتبرى من الاستغفار هو عمه لا أبوه الحقيقى، فلله الحمد على ما ألهم.

روى ابن سعد فى (الطبقات) عن الكلبى قال : هاجر إبراهيم من بابل إلى الشام وهو يومئذ ابن سبع وثلاثين فأتى حران فأقام بها زمانا ثم أتى إلى الأردن فأقام بها زمانا، ثم خرج إلى مصر فأقام بها زمانا، ثم رجع إلى الشام فنزل السبع هى أرض بين إيلياء وفلسطين ثم إن بعض أهل البلد آذوه فتحول من عندهم فنزل منزلا بين الرملة وإيلياء.

روى ابن سعد عن الواقدى[٩٤] قال : ولد لإبراهيم إسماعيل وهو ابن تسعين سنة فعرف من هذين الأثرين أن بين هجرته من بابل عقيب واقعة النار وبين الدعوة التى دعا بها بمكة بضعا وخمسين سنة.

---

(٩٤) هو محمد بن عمر بن واقد الواقدى الأسلمى مولاهم المدنى قاضى بغداد روى عن الثورى والأوزاعى وابن جرير، وعنه الشافعى ومحمد بن سعد كاتبه وأبو عبيد القاسم . مات سنة ٢٠٧هـ.

ثم استمر التوحيد فى ولد إبراهيم وإسماعيل، قال الشهرستانى فى (الملل والنحل) كان دين إبراهيم قائما والتوحيد فى صدر العرب شائعا، وأول من غيره واتخذ عبادة الأصنام عمرو بن لحى. قلت : وقد صح بذلك الحديث إذ أخرج البخارى ومسلم عن أبى هريرة على قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رأيت عمرو بن لحى الخزاعى يجر قصبه فى النار، كان أول من سيب السوائب.

وأخرج الإمام أحمد فى مسنده عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن أول من سيب السوائب وعبد الأصنام أبو خزاعة عمرو بن عامر وإنى رأيته يجر أمعاءه فى النار. وأخرج ابن إسحاق وابن جرير فى تفسيرهما عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رأيت عمرو بن لحى بن قمعة بن جندب يجر قصبه فى النار، إنه أول من غير دين إبراهيم.

ولفظ ابن إسحاق: إنه كان أول من غير دين إسماعيل فنصب الأوثان وبحر البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحامى. وله طرق أخرى.

وأخرج البزار فى مسنده بسند صحيح عن أنس[٩٥] قال : كان الناس بعد إسماعيل على الإسلام، وكان الشيطان يحدث الناس بالشىء يريد أن

---

(٩٥) سبق التعليق عليه.

يردهم عن الإسلام حتى أدخل عليهم فى التلبية لبيك اللهم لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك، قال فما زال حتى أخرجهم عن الإسلام إلى الشرك.

قال السهيلى فى (الروض الأنف) كان عمرو بن لحى حين غلبت خزاعة على البيت ونفت جرهم عن مكة قد جعلته العرب ربا لا شرع لهم بدعة إلا أخذوها بسرعة، لأنه كان يطعم الطعام ويكسو فى الموسم. وقد ذكر ابن إسحاق أنه أول من أدخل الأصنام الحرم وحمل الناس على عبادتها، وكانت التلبية من عهد إبراهيم لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، حتى كان عمرو بن لحى فبينما هو يلبى تمثل له الشيطان فى صورة شيخ فلبى معه فقال عمرو: لبيك لا شريك لك. فقال الشيخ إلا شريكا هو لك، فأنكر ذلك عمرو وقال : وما هذا، فقال : الشيخ قل تملكه وما ملك، فإنه لا بأس بهذا، فقالها عمرو ودانت بها العرب، انتهى الكلام السهيلى.

وقال الحافظ عماد الدين ابن كثير[٩٦] فى (تاريخه) كانت العرب على دين إبراهيم إلى أن ولى عمرو بن عامر الخزاعى مكة وانتزع ولاية البيت من أجداد النبى صلى الله عليه وسلم، فأحدث عمرو المذكور عبادة الأصنام وشرع للعرب الضلالات من السوائب وغيرها

---

(٩٦) صاحب التفسير ومسند الشيخين وعلوم الحديث وطبقات الشافعية مات سنة ٧٧٤هـ.

وزاد فى التلبية بعد قوله لبيك لاشريك لك، قوله، إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك. وهو أول من قال ذلك، وتبعته العرب على الشرك فشابهوا بذلك قوم نوح وسائر الأمم المتقدمة، وفيهم على ذلك بقايا من دين إبراهيم. وكانت مدة ولاية خزاعة على البيت ثلاثمائة سنة، وكانت ولايتهم مشئومة إلى أن جاء قصى جد النبى صلى الله عليه وسلم فقاتلهم واستعان على حربهم بالعرب، وانتزع ولاية البيت منهم. إلا أن العرب بعد ذلك لم ترجع عما كان أحدثه لها عمرو الخزاعى من عبادة الأصنام وغير ذلك. لأنهم رأوا ذلك دينا فى نفسه لا ينبغى أن يغير. انتهى، فثبت أن آباء النبى صلى الله عليه وسلم من عهد إبراهيم إلى زمان عمرو المذكور كلهم مؤمنون بيقين. ونأخذ فى الكلام على الباقى وعلى زيادة توضيح لهذا القدر.

الأمر الثانى : مما تنتصر لهذا المسلك آيات وآثار فى ذرية إبراهيم وعقبه، الأولى : وهى أصرحها قوله تعالى ﴿ **وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إننى براء مما تعبدون * إلا الذى فطرنى فإنه سيهدين * وجعلها كلمة باقية فى عقبه**﴾ أخرج عبد بن حميد فى تفسيره بسنده عن ابن عباس فى قوله تعالى ﴿ **وجعلها كلمة باقية فى عقبه**﴾ قال: لا إله إلا الله باقية فى عقب إبراهيم.

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن مجاهد فى قوله تعالى ﴿ **وجعلها كلمة باقية فى عقبه**﴾ قال : لا إله إلا الله. وقال

عبد بن حميد حدثنا يونس[97] عن شيبان[98] عن قتادة فى قوله تعالى ﴿ **وجعلها كلمة باقية فى عقبه**﴾ قال شهادة أن لا إله إلا الله والتوحيد لا يزال فى ذرية من يقولها بعده.

وقال عبد الرزاق فى تفسيره عن معمر عن قتادة فى قوله تعالى ﴿ **وجعلها كلمة باقية فى عقبه**﴾ قال: الإخلاص والتوحيد، لا يزال فى ذريته من يوحد الله ويعبده. أخرجه ابن المنذر ثم قال وقال ابن جريج فى الآية : فى عقب إبراهيم، فلم يزل بعد فى ذرية إبراهيم من يقول لا إله إلا الله. قال آخر فلم يزل ناس من ذريته على الفطرة يعبدون الله تعالى حتى تقوم الساعة.

وأخرج عبد بن حميد عن الزهرى فى الآية قال : العقب ولده الذكور والإناث وأولاد الذكور. وأخرج عن عطاء قال : العقب ولده وعصبته.

الآية الثانية : قوله تعالى ﴿ وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام﴾ وأخرج ابن جرير فى

---

(٩٧) هو يونس بن عبد الأعلى الصدفى المصرى، روى عن ابن عيينة والشافعى وابن وهب وخلق، وعنه مسلم والنسائى وابن ماجه وأبو زرعة وأبو حاتم وخلق.

(٩٨) هو شيبان بن عبد الرحمن التيمى مولاهم أبو معاوية البصرى روى عن الحسن وابن سيرين وقتادة ومنصور وعدة. مات ١٦٤هـ. ثقة، روى عنه زائدة وابن مهدى وأبو النضر وآخرون.

تفسيره عن مجاهد فى هذه الآية قال : فاستجاب الله لإبراهيم دعوته فى ولده فلم يعبد أحد من ولده صنما بعد دعوته فى ولده واستجاب الله له وجعل هذا البلد آمنا ورزق أهله من الثمرات وجعله إماما وجعل من ذريته من يقيم الصلاة . وأخرج البيهقى فى (شعب الإيمان) عن وهب بن منبه أن آدم لما أهبط إلى الأرض استوحش فذكر الحديث بطوله فى قصة البيت الحرام، وفيه من قول الله لآدم فى حق إبراهيم عليهما السلام وأجعله أمة قانتا بأمرى داعيا إلى سبيلى أجتبيه وأهديه إلى صراط المستقيم، أستجيب دعوته فى ولده وذريته من بعده وأشفعه وأجعلهم أهل ذلك البيت وولاته وحماته. الحديث. هذا الأثر موافق لقول مجاهد المذكور آنفا. ولا شك أن ولاية البيت كانت معروفة بأجداد النبى صلى الله عليه وسلم خاصة دون سائر ذرية إبراهيم إلى أن انتزعها منهم عمرو الخزاعى، ثم عادت إليهم فعرف أن كل ما ذكر عن ذرية إبراهيم من خير فإن أولى الناس به سلسلة الأجداد الشريفة الذين خصوا بالاصطفاء، وانتقل إليهم نور النبوة واحدا بعد واحد، فهم أولى بأن يكونوا هم البعض المشار إليهم فى قوله ﴿ **رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى**﴾.

وأخرج ابن أبى حاتم عن سفيان بن عيينة أنه سئل : هل عبد أحد من ولد إسماعيل الأصنام. قال : لا، ألم تسمع قوله ﴿ **واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام**﴾ قيل فكيف لم يدخل ولد إسحاق وسائر ولد إبراهيم

قال لأنه دعا لأهل هذا البلد أن لا يعبدوا إذ أسكنهم إياه. فقال اجعل هذا البلد آمنا، ولم يدع لجميع البلدان بذلك، فقال: واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام فيه، وقد خص أهله وقال: ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة. فانظر إلى هذا الجواب من سفيان بن عيينة، وهو أحد الأئمة المجتهدين، وهو شيخ إمامنا الإمام الشافعى رضى الله عنهما.

الآية الثالثة : قوله تعالى حكاية عن إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام ﴿ **رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى**﴾ وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج فى قوله ﴿ **رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى**﴾. قال فلن تزال من ذرية إبراهيم ناس على الفترة يعبدون الله تعالى.

الآية الرابعة : أخرج أبو الشيخ فى تفسيره عن زيد بن على قال قالت سارة لما بشرتها الملائكة ﴿ **يا ويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا إن هذا لشىء عجيب**﴾ فقالت الملائكة ترد على سارة: ﴿ **أتعجبين من أمر الله رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد**﴾. قال فهو كقوله تعالى ﴿ **وجعلها كلمة باقية فى عقبه**﴾ فمحمد وآله من عقب إبراهيم داخل فى ذلك.

وقد أخرج ابن حبيب فى تاريخه عن ابن عباس قال: كان عدنان ومعد وربيعة ومضر وخزيمة واصلة على ملة إبراهيم فلا تذكروهم إلا بخير.

وذكر أبو جعفر الطبرى وغيره أن الله أوحى إلى أرمياء أن اذهب إلى بخت نصر وأعلمه أنى قد سلطته على العرب وأمر الله أرمياء أن يحتمل معه معد بن عدنان على البراق كى لا يصيبه النقمة فإنى مستخرج من صلبه نبيا كريما أختم به الرسل، ففعل أرمياء ذلك واحتمل معدا إلى أرض الشام فنشأ مع بنى إسرائيل ثم عاد بعد أن هدأت الفتن.

وأخرج ابن سعد (فى الطبقات) من مرسل عبد الله بن خالد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تسبوا مضر فإنه كان قد أسلم.

وقال السهيلى فى (الروض الأنف) فى الحديث المروى: لا تسبوا مضر ولا ربيعة فإنهما كانا مؤمنين . قلت : وقفت عليه مسندا. وأخرجه أبو بكر محمد بن خلف بن حيان المعروف بوكيع[99] (فى كتاب الغرر) من الأخبار، وقال حدثنا إسحاق بن داؤد بن عيسى المروزى أبو يعقوب الشعرانى، قال حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقى[100] قال حدثنا عثمان بن قائد عن يحيى بن طلحة بن عبيد الله عن إسمعيل بن محمد ابن سعد بن أبى وقاص عن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تسبوا ربيعة ولا مضر فإنهما كانا مسلمين. وأخرج بسنده عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه

---

(٩٩) هو صاحب كتاب أخبار القضاة.

(١٠٠) هو سليمان بن عبد الرحمن بن عيسى التميمى الدمشقى أبو أيوب، ثقة مات سنة ٢٣٢هـ.

وسلم قال : لا تسبوا تميما وضبة فإنهم كانوا مسلمين. وأخرج بسنده عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تسبوا قيسا فإنه كان مسلما. ثم قال السهيلى : ويذكر عن النبى صلى اللله عليه وسلم أنه قال لا تسبوا إلياس فإنه كان مسلما مؤمنا، وذكر أنه كان يسمع فى صلبه تلبية النبى صلى الله عليه وسلم بالحج. قال وكعب بن لؤى أول من جمع يوم العروبة، وقيل هو أول من سماها الجمعة فكانت قريش تجتمع إليه فى هذا اليوم فيخطبهم ويذكرهم بمبعث النبى صلى الله عليه وسلم ويعلمهم أنه من ولده ويأمرهم باتباعه والإيمان به، وينشد فى هذا أبياتاً منها قوله :

يا ليتنى شاهد نجواء دعوته إذا قريش تبغى الحق خذلانا

قال وقد ذكر الماوردى هذا الخبر عن محمد بن كعب فى (كتاب الأعلام) له، انتهى . قلت : هذا الخبر أخرجه أبو نعيم فى (دلائل النبوة) بسنده عن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، وفى آخره وكان بين موت كعب وبعث النبى صلى الله عليه وسلم خمسمائة سنة وستون سنة. والماوردى المذكور هو أحد أئمة أصحابنا وهو صاحب (الحاوى الكبير) له كتاب (أعلام النبوة) فى مجلد كثير الفوائد، وقد رأيته وسأنقل منه فى هذا الكتاب، فحصل مما أوردناه أن آباء النبى صلى الله عليه وسلم من عهد إبراهيم إلى كعب بن لؤى كانوا كلهم على دين إبراهيم، وولد كعب بن مرة الظاهر أنه كذلك لأن أباه أوصاه

بالإيمان ويقى بينه وبين عبد المطلب أربعة آباء وهم كلاب وقصى وعبد مناف وهاشم، ولم أظفر فيهم بنقل لا هذا ولا بهذا وأما عبد المطلب ففيه ثلاثة أقوال. أحدها : وهو الأشبه أنه لم تبلغه الدعوة لأجل الحديث الذى فى البخارى وغيره. والثانى : أنه كان على التوحيد وملة إبراهيم وهو ظاهر عموم الإمام فخر الدين، وما تقدم عن مجاهد وسفيان بن عيينة وغيرهما فى تفسير الآيات السابقة. والثالث : أن الله أحياه بعد بعثة النبى صلى الله عليه وسلم حتى آمن به وأسلم ثم مات. حكاه ابن سيد الناس، وهذا أضعف الأقوال وأسقطها وأوهاها لأنه لا دليل عليه ولم يرد قط فى حديث لا ضعيف ولا غيره، ولا قال بهذا القول أحد من أئمة السنة إنما حكوه عن بعض الشيعة، ولهذا اقتصر غالب المصنفين على حكاية القولين وسكتوا عن حكاية الثالث لأن خلاف الشيعة لا يعتد به.

قال السهيلى فى (الروض الأنف) وفى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على أبى طالب عند موته وعنده أبو جهل وابن أبى أمية وقال : يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله، فقال له أبو جهل وابن أبى أمية أترغب عن ملة عبد المطلب، فقال : أنا على ملة عبد المطلب. قال : وظاهر هذا الحديث يقتضى أن عبد المطلب مات على الشرك، قال ووجدت فى بعض كتب المسعودى اختلافا فى عبد المطلب وأنه قد قيل فيه مات مسلما لما رأى من الدلائل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وعلم أنه

لا يبعث إلا بالتوحيد فالله أعلم، غير أن فى (مسند البزار) و(كتاب النسائى) من حديث عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة وقد عزت قوما من الأنصار: لعلك بلغت معهم الكدى، فقالت لا، فقال : لو كنت بلغت معهم الكدى ما رأيت الجنة حتى يراها جدأبيك.

قال وقد أخرجه أبو داود ولم يذكر فيه حتى يراها جد أبيك، قال : وفى قوله جد أبيك ولم يقل جدك تقوية للحديث الضعيف الذى قدمنا ذكره أن الله أحيا أباه وأمه وآمنا به فالله أعلم، قال : ويحتمل أنه أراد تخويفها بذلك لأن قوله صلى الله عليه وسلم حق وبلوغها معهم الكدى لا يوجب خلودا فى النار، هذا كله كلام السهيلى بحروفه، وقال الشهرستانى فى (الملل والنحل) ظهر نور النبى صلى الله عليه وسلم فى أسارير عبد المطلب بعض الظهور، وببركة ذلك النور ألهم النذر فى ذبح ولده، وببركته كان يأمر ولده بترك الظلم والبغى ويحثهم على مكارم الأخلاق وينهاهم عن دنيات الأمور، وببركة ذلك النور كان يقول فى وصاياه إنه لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم منه وتصيبه عقوبة إلى أن هلك رجل ظلوم لم تصبه عقوبة فقيل لعبد المطلب فى ذلك ففكر فى ذلك فقال والله إن وراء هذه الدار دارا يجزى فيها المحسن بإحسانه ويعاقب فيها المسيىء بإساءته. وببركة ذلك النور قال لأبرهة إن لهذا البيت ربا يحفظه، ومنه قال وقد صعد أبا قبيس :

لاهم إن المرء يمنع رحله فامنع حلالك

لا يغلبن صليبهم ومحالهم غدواً محالك

فانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك

انتهى كلام الشهرستانى ومتناسق ما ذكره ما أخرجه ابن سعد فى طبقاته عن ابن عباس قال: كانت الدية عشرا من الإبل وعبد المطلب أول من فدى بمائة من الإبل فجرت فى قريش والعرب مائة من الإبل أقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم. وينضم إلى ذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم انتسب إليه يوم حنين فقال :

أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب

وهذا أقوى ما يقوى به مقالة الإمام فخر الدين ومن وافقه لأن الأحاديث وردت فى النهى عن الانتساب إلى الآباء الكفار.

روى البيهقى فى (الشعب) من حديث أبى بن كعب ومعاذ بن جبل أن رجلين استبا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أحدهما أنا فلان ابن فلان أنا فلان ابن فلان. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: انتسب رجلان على عهد موسى فقال أحدهما: أنا فلان ابن فلان إلى تسعة قال الآخر أنا فلان بن فلان الإسلام فأوحى الله إلى موسى هذان المنتسبان أما أنت أيها المنتسب إلى تسعة آباء فى النار فأنت عاشرهم فى النار، وأما أنت أيها المنتسب إلى اثنين فأنت ثالثهما فى الجنة.

وروى البيهقى أيضا عن أبى ريحانة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: من انتسب إلى تسعة آباء كفار يريد بهم عزا وشرفا فهو عاشرهم فى النار. وروى البيهقى أيضا عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ،لا تفتخروا بآبائكم الذين ماتوا فى الجاهلية فوالذى نفسى بيده لما يدحرج الجعل بأنفه خير من آبائكم الذين ماتوا فى الجاهلية، وروى البيهقى أيضا عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء، لينتهين أقوام يفتخرون برجال إنما هم فحم من فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التى تدفع النتن بأنفها. والأحاديث فى ذلك المعنى كثيرة.

وأوضح من ذلك فى التقرير أن البيهقى أورد فى (شعب الإيمان) حديث مسلم : إن فى أمتى أربعا من أمر الجاهلية ليسوا بتاركيهم الفخر فى الأحساب، الحديث. وقال عقبة وإن عورض هذا بحديث النبى صلى الله عليه وسلم فى اصطفاء بنى هاشم فقد قال الحليمى : لم يرد بذلك الفخر إنما أراد تعريف منازل المذكورين ومراتبهم، كرجل يقول كان أبى فقيها لا يريد به الفخر، وإنما يريد به تعريف حاله دون ما عداه، قال: وقد يكون أراد به الإشارة بنعمة الله عليه فى نفسه وآبائه على وجه الشكر، وليس ذلك من الاستطالة والفخر فى شىء، انتهى.

فقوله أراد تعريف منازل المذكورين ومراتبهم أو الإشارة بنعمة الله عليه فى نفسه وآبائه على وجه الشكر فيه تقوية لمقالة الإمام فخر

الدين وإجرائها على عمومها كما لا يخفى إذ الاصطفاء لايكون إلا لمن هو على التوحيد، ولا شك أن الترجيح فى عبد المطلب بخصوصه عسير جدا لأن حديث البخارى وهو الذى منع أبو جهل أبا طالب من الإيمان باستدلال ملة عبد المطلب مصادم قوى وإن أخذ فى تأويله لم يوجد تأويل قريب والتأويل البعيد يأباه أهل الأصول. ولهذا لما رأى البيهقى تصادم الأدلة لم يقدر على الترجيح. فوقف، فالله أعلم. وهذا يصلح أن يعد قولا رابعا فيه وهو الوقف، وأكثر ما خطر لى فى تأويل الحديث وجهان بعيدان فتركتهما، وأما حديث النسائى فتأويله قريب، وقد فتح السهيلى بابه وإن لم يستوف، وإنما سهل الترجيح فى جانب عبد الله مع أن فيه معارضا قويا وهو حديث مسلم لأن ما قاله السهيلى تأويل قريب فى غاية الجلاء والوضوح. وقامت الأدلة على رجحان جانب التأويل فسهل المصير إليه والله أعلم. ثم رأيت الإمام أبا الحسن الماوردى أشار إلى نحو ما ذكره الإمام فخر الدين إلا أنه لم يصرح فقال فى كتابه (أعلام النبوة) لما كان أنبياء الله صفوة عباده وخيرة خلقه لما كلفهم من القيام بحقه، والإرشاد لخلقه، استخلصهم من أكرم العناصر واجتباهم بمحكم الأوامر، فلم يكن لنسبهم من قدح ولمنصبهم من جرح، ليكون القلوب أصغى والنفوس لهم أوطأ فيكون الناس إلى إجابتهم أسرع ولأوامرهم أطوع، وأن الله استخلص رسوله صلى الله عليه وسلم من أطيب المناكح، وحماه من دنس الفواحش، ونقله من أصلاب طاهرة إلى أرحام منزهة، وقد قال ابن عباس فى تأويل قول الله ﴿ وتقلبك فى

الساجدين﴾ أى تقلبك من أصلاب طاهرة من أب بعد أب إلى أن جعلك نبيا فكان نور النبوة ظاهرا فى آبائه ثم لم يشركه فى ولادته من أبويه أخ ولا أخت لأنهما صفوتهما إليه وقصور نسبهما عليه ليكون مختصا بنسب جعله الله للنبوة غاية ولتفرده نهاية، فيزول عنه إن شاركه فيه، ويماثل منه، فلذلك مات عنه أبواه فى صغره، فأما أبوه فمات وهو حمل وأما أمه فماتت وهو ابن ست سنين. وإذا خبرت حال نسبه وعرفت طهارة مولده علمت أنه سلالة آباء كرام ليس فى آبائه مسترذل ولا مغمور مسسبل، بل كلهم سادة قادة. وشرف النسب وطهارة المولد من شروط النبوة، انتهى. كلام الماوردى بحروفه.

وقال أبو جعفر النحاس فى (معانى القرآن) فى قوله ﴿ وتقلبك فى الساجدين﴾ روى عن ابن عباس أنه قال: تقلبه فى الظهور حتى أخرجه نبيا وما أحسن قول الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقى:

أشعار

تنقل أحمد نورا عظيما ... تلألأ فى جباه الساجدينا

تقلب فيهم قرنا فقرنا ... إلى أن جاء خير المرسلينا

وقال أيضا

حفظ الإله كرامة لمحمد ... آباءه الأمجاد صونا لاسمه

تركوا السفاح فلم يصبهم عاره ... من آدم وإلى أبيه وأمه

وقال الشرف البوصيرى صاحب (البردة) :

كيف ترقى رقيك الأنبياء ياسماء ما طاولتها سماء
لم يساووك فى علاك وقد حال ثناء منك دونهم وسناء
إنما مثلوا صفاتك للناس كما مثل النجوم الماء
أنت مصباح كل فضل فما تصدر إلا عن ضوئك الأضواء
لك ذات العلوم من عالم الغيب ومنه لآدم الأسماء
لم يزل فى ضمائر الغيب يختار لك الأمهـات والآبـاء
ما مضت فترة من الرسل إلا بشرت قومها بك الأنبياء
تتباهى بك القصور وتسمو بك علياء بعدها علياء
وبدا للوجود منك كريم من كريم آباؤه كرماء
نسب تحسب العلى بحلاه قلدتـها نجومـها الجـوزاء

ومنها :

فهنيئا لآمنة الفضل الذى شرفت به حواء
من لحواء إنها حملت أحمد أو أنها به نفساء
يوم نالت بوضعه ابنة وهب من فخار ما لم تنله النساء

وأتت قومها بأفضل مما حملت قبل مريم العذراء

فائدة

قال ابن أبى حاتم فى تفسيره : حدثنا أبى حدثنا موسى بن أيوب النصيبى حدثنا حمزة عن عثمان بن عطاء عن أبيه قال : بين النبى صلى الله عليه وسلم وبين آدم تسعة وأربعون أبا.

الأمر الثالث : أثر ورد فى أم النبى صلى الله عليه وسلم خاصة أخرج أبو نعيم فى (دلائل النبوة) بسند ضعيف من طريق الزهرى عن أم سماعة بنت أبى رهم عن أمها قالت: شهدت آمنة أم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى علتها التى ماتت فيها ومحمد غلام يقع له خمس سنين عند رأسها فنظرت إلى وجهه ثم قالت :

بارك فيك الله من غلام يا بن الذى من حومة الحمام

نجا بعون الملك المنعام فودى غداة الضرب بالسهام

بمائة من إبل سوام إن صح ما أبصرت فى المنام

فأنت مبعوث إلى الأنام من عند ذى الجلال والإكرام

تبعث فى الحل وفى الحرام تبعث بالتحقيق والإسلام

دين أبيك البر إبراهام فالله أنهاك عن الأصنام

أن لا تواليها مع الأقوام

ثم قالت : كل حى ميت، وكل جديد بال، وكل كبير يفنى، وأنا ميتة، وذكرى باق، وقد تركت خيرا، وولدت طهرا. ثم ماتت وكنا نسمع نوح الجن عليها فحفظنا من ذلك :

نبكى الفتاة البرة الأمينه ذات الجمال العفة الرزينه

زوجة عبد الله والقرينه أم نبى الله ذى السكينه

وصاحب المنبر فى المدينه صارت لدى حفرتها رهينه

وأنت ترى هذا الكلام منها صريحا فى النهى عن موالاة الأصنام مع الأقوام والاعتراف بدين إبراهيم، ويبعث ولدها إلى الأنام من عند ذى الجلال والإكرام بالإسلام، وهذه الألفاظ منافية للشرك، وقولها تبعث بالتحقيق كذا هو فى النسخة، وعندى أنه تصحيف وإنما هو بالتخفيف ثم إنى استقرأت أمهات الأنبياء عليهم السلام فوجدتهن مؤمنات فأم إسحاق وموسى وهارون وعيسى وموسى وحواء أم شيث مذكورات فى القرآن، بل قيل بنبوتهن ووردت الأحاديث بإيمان هاجر أم إسماعيل وأم يعقوب وأمهات أولاده وأم داود وسليمان وزكريا ويحيى وشمويل وشمعون وذى الكفل. ونص بعض المفسرين على إيمان أم نوح وأم إبراهيم ورجحه ابن حبان فى تفسيره، وقد تقدم عن ابن عباس أنه لم يكن بين نوح وآدم ولد كافر، ولهذا قال ﴿ **رب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا**﴾ وقال إبراهيم ﴿ **ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب**﴾ ولم يعتذر عن استغفار إبراهيم فى القرآن لأبيه خاصة دون أمه فدل على أنها كانت مؤمنة.

وأخرج الحاكم فى (المستدرك) وصححه عن ابن عباس قال : كانت الأنبياء من بنى إسرائيل إلا عشرة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ومحمد عليهم الصلاة والسلام، وبنو إسرائيل كلهم كانوا مؤمنين لم يكن فيهم كافر إلى أن بعث عيسى فكفر به من كفر، فأمهات الأنبياء الذين من بنى إسرائيل كلهن مؤمنات، وأيضا فغالب أنبياء بنى إسرائيل كانوا أولاد أنبياء أو أولادهم فإن النبوة كانت تكون فى سبط منهم يتناسلون كما هو معروف فى أخبارهم، وأما العشرة المذكورون من غير بنى إسرائيل فقد ثبت إيمان أم نوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وبقى أم هود وصالح ولوط وشعيب يحتاج إلى نقل أو دليل، والظاهر إن شاء الله تعالى إيمانهن، فكذلك أم النبى صلى الله عليه وسلم، وكان السر فى ذلك ما يرينه من النور. ورد فى الحديث: أخرج أحمد والبزار والطبرانى والحاكم والبيهقى عن العرباض ابن سارية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إنى عند الله لخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل فى طينته، وسأخبركم عن ذلك دعوة إبراهيم وبشارة عيسى ورؤيا أمى التى رأت، وكذلك أمهات النبيين يرين وأن أم رسول الله صلى الله عليه وسلم رأت حين وضعته نورا أضاءت له قصور الشام، ولا شك أن الذى رأته أم النبى صلى الله عليه وسلم فى حال حملها به وولادتها له من الآيات أكثر وأعظم مما رآه سائر أمهات الأنبياء، كما سقنا الأخبار بذلك فى « كتاب المعجزات» . وقد ذكر بعضهم أنه لم يرضعه مرضعة إلا أسلمت، قال ومرضعاته أربع : أمه وحليمة السعدية وثويبة وأم أيمن، انتهى. فإن قلت : فما تصنع بالأحاديث الدالة

على كفرها وأنها فى النار، وهى حديث أنه صلى الله عليه وسلم قال : ليت شعرى ما فعل أبواى، فنزلت ﴿ ولا تسأل عن أصحاب الجحيم﴾ وحديث أنه استغفر لأمه فضرب جبرئيل فى صدره وقال: لا تستغفر لمن مات مشركا. وحديث أنه نزل فيها ﴿ ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين﴾ وحديث أنه قال لابنى مليكة: أمكما فى النار فشق عليهما فدعاهما فقال إن أمى مع أمكما. قلت : الجواب أن غالب ما يروى من ذلك ضعيف ولم يصح فى أم النبى صلى الله عليه وسلم سوى حديث أنه استأذن فى الاستغفار لها فلم يؤذن له. ولم يصح أيضا فى أمه إلا حديث مسلم خاصة، وسيأتى الجواب عنهما. وأما الأحاديث التى ذكرت فحديث ليت شعرى ما فعل أبواى فنزلت الآية، لم يخرج فى شىء من كتب الأحاديث المعتمدة وإنما ذكره فى بعض التفاسير بسند منقطع لا يحتج به، ولا يعول عليه، ولو جلتنا تحتج بالأحاديث الواهية لعارضناك بحديث واه أخرجه ابن الجوزى من حديث على مرفوعا : هبط جبرئيل علىّ فقال إن الله يقرئك السلام ويقول إنى حرمت النار على صُلبٍ أنزلك وبطنٍ حملك وحجرٍ كفلك، ويكون من باب معارضة الواهى بالواهى، إلا أنا لا نرى ذلك ولا نحتج به، ثم إن هذا السبب مردود بوجوه أخرى من جملة الأصول والبلاغة وأسرار البيان، وذلك أن الآيات من قبل هذه الآية ومن بعدها كلها فى اليهود من قوله تعالى ﴿ يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم وإياى فارهبون﴾ إلى قوله ﴿ وإذ ابتلى إبراهيم ربه﴾ ولهذا ختمت القصة بمثل ماصدرت به

وهو قوله تعالى ﴿ يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم﴾ الآيتين، فتبين أن المراد بأصحاب الجحيم كفار أهل الكتاب، وقد ورد ذلك مصرحا به فى الأثر، وأخرج عبد بن حميد والفريابى وابن جرير وابن المنذر فى تفاسيرهم عن مجاهد قال : من أول البقرة أربع آيات فى نعت المؤمنين وآيتان فى نعت الكافرين وثلاث عشرة آية فى نعت المنافقين، ومن أربعين آية إلى عشرين ومائة فى بنى إسرائيل إشارة صحيحة، ومما يؤكد ذلك أن السورة مدنية وأكثر ما خوطب فيها اليهود، وترشح ذلك من حيث المناسبة أن الجحيم اسم لما عظم من النار، كما هو مقتضى اللغة والآثار أخرج ابن أبى حاتم عن أبى مالك قوله تعالى ﴿ أصحاب الجحيم﴾ الجحيم ما عظم من النار. أخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن جريج فى قوله تعالى ﴿ لها سبعة أبواب﴾ قال أولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية، قال والجحيم فيها أبو جهل. إسناده صحيح أيضا. فاللائق لهذه المنزلة من عظم كفره واشتد وزره وعاند عند الدعوة وبدل وحرف وجحد بعد علم، لا من هو بمظنة التخفيف، وإذا كان قد صح فى أبى طالب أنه أهون أهل النار عذابا لقرابته منه صلى الله عليه وسلم وبره مع إدراكه الدعوة وامتناعه من الإجابة وطول عمره، فما ظنك بأبويه الذين هما أشد منه قربا وآكد حبا وأبسط عذرا وأقصر عمرا فمعاذ الله أن يظن أنهما فى طبقة الجحيم، وأن يشدد عليهما العذاب العظيم، هذا لا يفهمه من له أدنى ذوق سليم، وأما حديث أن جبرائيل ضرب فى صدره وقال

لا تستغفر لمن مات مشركا فإن البزار أخرجه بسند فيه من لا يعرف، وأما حديث نزول الآية فى ذلك فضعيف أيضا والثابت فى الصحيح أنها أنزلت فى أبى طالب وقوله صلى الله عليه وسلم له لأستغفرن لك ما لم أنه عنك. وأما حديث أمى مع أمكما. فأخرجه الحاكم فى (مسنده) وقال: صحيح. وشأن المستدرك فى تساهله فى التصحيح معروف، وقد تقرر فى علوم الحديث أنه لا يقبل تفرده بالصحيح، ثم إن الذهبى فى (مختصر المستدرك) لما أورد هذا الحديث ونقل قول الحاكم صحيح قال عقبة. قلت : لا والله فعثمان بن عمير ضعفه الدارقطنى فبين الذهبى ضعف الحديث وحلف عليه يمينا شرعيا وإذا لم يكن فى المسألة إلا أحاديث ضعيفة كان للنظر فى غيرها مجال.

الأمر الرابع : فيما ننتصر به لهذا المسلك أنه قد ثبت عن جماعة كانوا فى زمن الجاهلية أنهم حنفوا وتدينوا بدين إبراهيم عليه السلام، وتركوا الشرك فما المانع أن يكون أبو النبى صلى الله عليه وسلم سبيلهم فى كل ذلك، قال الحافظ أبو الفرج بن الجوزى فى (التلقيح) تسمية من رفض عبادة الأصنام فى الجاهلية : أبو بكر الصديق ـ زيد بن عمرو بن نفيل ـ عبد الله بن جحش ـ عثمان بن الحويرث ـ ورقة بن نوفل ـ رباب بن البراء ـ أسعد بن كريب الحميرى ـ قس بن ساعدة الإيادى ـ أبو قيس بن صرمة. انتهى. وقد وردت الأحاديث بتحقيق زيد بن عمرو ابن نفيل وورقة وقس، وقد روى ابن إسحاق وأصله فى الصحيح تعليقا عن أسماء بنت أبى بكر قالت : لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل مسندا ظهره إلى الكعبة يقول : يا معشر قريش ما أصبح منكم أحد على دين

إبراهيم غيرى، ثم يقول : اللهم إنى لو أعلم أحب الوجود إليك عبدتك به، ولكنى لا أعلم. قلت : ويؤيد هذا ما تقدم فى المسلك الأول أنه لم يبق إذ ذاك من يبلغ الدعوة ويعرف حقيقتها على وجهها، وأخرج أبو نعيم فى (دلائل النبوة) عن عمرو بن عبسة السلمى قال : رغبت عن آلهة قومى فى الجاهلية ورأيت أنها الباطل يعبدون الحجارة.

وأخرج البيهقى وأبو نعيم كلاهما فى (الدلائل) من طريق الشعبى[١٠١] عن شيخ من جهينة أن عمرو بن حبيب أدرك الإسلام، وقال إمام الأشاعرة الشيخ أبو الحسن الأشعرى وأبو بكر ما زال بعين الرضا منه فاختلف الناس فى مراده بهذا الكلام فقال بعضهم إن الأشعرى يقول إن أبا بكر الصديق كان مؤمنا قبل البعثة، وقال آخرون بل أراد أنه لم يزل بحالة غير مغضوب فيها عليه لعلم الله تعالى بأنه سيؤمن ويصير من خلاصة الأبرار.

قال الشيخ تقى الدين السبكى: لو كان هذا مراده لاستوى الصديق وسائر الصحابة فى ذلك، وهذه العبارة التى قالها الأشعرى فى حق الصديق لم يحفظ عنه فى حق غيره، فالصواب أن يقال : لم يثبت عنه حالة كفر بالله، فلعل حالة قبل البعث كحال زيد بن عمرو بن نفيل وأقرانه، فلهذا خصص الصديق بالذكر عن غيره من الصحابة، انتهى كلام السبكى.

قلت : وكذلك نقول فى حق أبوى النبى صلى الله عليه وسلم أنهما

(١٠١) هو عامر بن شراحيل أبو عمرو الكوفى، ثقة مات سنة ١٠٣هـ وقيل سنة ١٠٤هـ.

لم يثبت عنهما حالة كفر بالله، فلعل حالهما حال زيد بن عمرو بن نفيل وأبى بكر الصديق وأضرابهما مع أن الصديق وزيد بن عمرو إنما حصل لهما التخفيف فى الجاهلية ببركة النبى صلى الله عليه وسلم، فإنهما كانا صديقين له قبل البعثة، وكانا يودانه كثيرا فأبواه أولى بعود بركته عليهما وحفظهما مما كان عليه أهل الجاهلية.

فإن قلت : بقيت عقدة واحدة، وهى ما رواه مسلم عن أنس أن رجلا قال: يا رسول الله أين أبى؟ قال: فى النار. فلما قفا دعاه فقال: إن أبى وأباك فى النار. وحديث مسلم وأبى داود[١٠٢] عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم استأذن فى الاستغفار لأمه فلم يؤذن له. فاحلل هذه العقدة.

قلت : على الرأس والعين، الجواب أن هذه اللفظة وهى قوله إن أبى وأباك فى النار لم يتفق على ذكرها الرواة وإنما ذكرها حماد بن سلمة[١٠٣] عن ثابت عن أنس وهى الطريق التى رواه مسلم منها وقد خالفه معمر عن ثابت فلم يذكر أن أبى وأباك فى النار، ولكن قال له إذا

---

(١٠٢) هو أبو داود السجستانى سليمان بن الأشعث بن شداد بن عمرو الأزدى صاحب السنن والناسخ والمنسوخ والقدر والمراسيل، ولد سنة ٢٠٢هـ ومات سنة ٢٧٥هـ، روى عن القعنبى ومسلم بن إبراهيم وأبى الوليد الطيالسى وأحمد ويحيى وإسحاق وابن المدينى وخلق.

(١٠٣) هو حماد بن سلمة بن دينار البصرى أبو سلمة، روى عن أيوب وأنس بن سيرين وحبيب المعلم وحميد الطويل وخلائق، وعنه حجاج بن منهال وأبو داود الطيالسى وسليمان بن حرب وابن المبارك وابن مهدى مات سنة ١٦٧هـ.

مررت بقبر كافر فبشره بالنار. وهذا اللفظ لا دلالة فيه على والده صلى الله عليه وسلم بأمر ألبتة وهو أثبت من حيث الرواية فإن معمرا أثبت من حماد فإن حمادا تكلم فى حفظه ووقع فى أحاديثه مناكير، ذكروا أن ربيبه دسها فى كتبه وكان حماد لا يحفظ فحدث بها فوهم فيها، ومن ثم لم يخرج له البخارى شيئا ولا خرّج له مسلم فى الأصول إلا من روايته عن ثابت، قال الحاكم فى (المدخل) ما خرج مسلم لحماد فى الأصول إلا من حديثه عن ثابت وقد خرج له فى (الشواهد) عن طائفة، وأما معمر فلم يتكلم فى حفظه ولا استنكر شىء من حديثه واتفق على التخريج له الشيخان فكان لفظه أثبت، ثم وجدنا الحديث ورد من حديث سعد بن أبى وقاص بمثل لفظ رواية معمر عن ثابت عن أنس فأخرج البزار والطبرانى والبيهقى من طريق إبراهيم بن سعد عن الزهرى عن عامر بن سعد عن أبيه أن أعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أين أبى؟ قال: فى النار، قال فأين أبوك قال: حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار.

وهذا إسناد على شرط الشيخين فتعين الاعتماد على هذا اللفظ وتقديمه على غيره، وقد زاد الطبرانى والبيهقى فى آخره قال: فأسلم الأعرابى بعد، فقال: لقد كلفنى رسول الله صلى الله عليه وسلم تعبا، ما مررت بقبر كافر إلا بشرته بالنار. وقد أخرج ابن ماجه(١٠٤) من طريق

---

(١٠٤) هو أبو عبد الله محمد بن يزيد الربعى مولاهم القزوينى الحافظ صاحب كتاب السنن والتفسير، مات سنة ٢٨٣هـ، سمع بخراسان والعراق والحجاز ومصر والشام وغيرها.

إبراهيم بن سعد[١٠٥] عن الزهرى عن سالم عن أبيه قال: جاء أعرابى إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إن أبى كان يصل الرحم وكان وكان فأين هو؟ قال: فى النار. قال فكأنه وجد من ذلك فقال: يا رسول الله فأين أبوك؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حيثما مررت بقبر مشرك فبشره بالنار. فأسلم الأعرابى بعد، ثم قال لقد كلفنى رسول الله صلى الله عليه وسلم تعبا ما مررت بقبر كافر إلا بشرته بالنار.

فهذه الزيادة أوضحت بلا شك أن هذا اللفظ العام هو الذى صدر منه صلى الله عليه وسلم ورآه الأعرابى بعد إسلامه أمرا مقتضيا للامتثال فلم يتعبه إلا امتثاله، ولو كان الجواب باللفظ الأول لم يكن فيه أمر بشىء ألبتة، فعلم أن اللفظ الأول من تصرف الراوى، رواه بالمعنى على حسب فهمه.

وقد وقع فى الصحيحين روايات كثيرة من هذا النمط فيها لفظ تصرف فيه الراوى وغيره أثبت منه، كحديث مسلم عن أنس فى نفى قراءة البسملة وقد أعله الإمام الشافعى رضى الله عنه بذلك، وقال إن الثابت من طريق آخر بنفى سماعها ففهم منه الراوى نفى قراءتها فرواه بالمعنى على فهمه فأخطأ، ونحن أجبنا عن حديث مسلم فى هذا المقام بنظير ما أجاب به إمامنا الإمام الشافعى رضى الله عنه، عن حديث مسلم فى نفى قراءة البسملة، ثم لو فرض اتفاق الرواة على اللفظ الأول

---

(١٠٥) هو إبراهيم بن سعد الزهرى نزيل بغداد، مات سنة ١٨٣ هـ.

كان معارضا لما تقدم من الأدلة، والحديث الصحيح إذا عارضه أدلة أخرى هى أرجح منه وجب تأويله وتقديم تلك الأدلة عليه، كما هو مقرر في الأصول، وبهذا الجواب الأخير يجاب عن حديث عدم الإذن فى الاستغفار لأمه على أنه يمكن فيه دعوى الملازمة بدليل أنه كان فى صدر الإسلام ممنوعا من الصلاة على من عليه دين وهو مسلم، فلعله كانت علتها تبعات غير الكفر فمنع أيضا من الاستغفار لها بسببها، والجواب الأول أنقد وهذا تأويل فى الجملة، ثم رأيت طريقا للحديث مثل لفظ رواية معمر وأزيد وضوحا، وذلك أنه صرح فيه بأن السائل أراد أن يسأل عن أبيه صلى الله عليه وسلم فعدى عن ذلك تأملا وتأدبا فأخرج الحاكم فى (المستدرك) وصححه عن لقيط بن عامر أنه خرج وافدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه نهيك بن عاصم بن مالك بن المنتفق، قال : فقدمنا المدينة لانسلاخ رجب فصلينا معه صلاة الغداة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس خطيبا فذكر الحديث إلى أن قال، فقلت: يا رسول الله هل فى أحد ممن مضى منا فى الجاهلية من خير، فقال رجل من عرض قريش إن أباك المنتفق فى النار. فكأنه وقع بحر بين جلد وجهى ولحمى مما قال لأبى على رءوس الناس فهممت أن أقول: وأبوك يا رسول الله، ثم نظرت فإذا الأخرى أجمل فقلت. وأهلك يا رسول الله قال : ما أتيت عليه من قبر قرشى أو عامرى مشرك فقل أرسلنى إليك محمد فأبشرك بما بشرك.

هذه رواية لا إشكال فيها وهى أوضح الروايات وأبينها تقريرا، وما المانع أن يكون قول السائل: فأين أبوك؟ وقوله صلى الله عليه وسلم فى

حديث أنس أن أبى إن ثبت المراد به عمه أبو طالب لا أبوه عبد الله كما قال بذلك الإمام فخر الدين فى أبى إبراهيم أنه عمه، وقد تقدم نقله عن ابن عباس ومجاهد وابن جريج والسدى، ويرشحه ههنا أمران: الأول : أن إطلاق ذلك على أبى طالب كان شائعا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم، ولهذا كانوا يقولون له قل لابنك يرجع عن شتم آلهتنا، وقال أبو طالب مرة لما قالوا له أعطنا ابنك نقتله وخذ هذا الولد مكانه، قال: أعطيكم ابنى تقتلونه وآخذ ابنكم أكفله لكم، ولما سافر أبو طالب إلى الشام ومعه النبى صلى الله عليه وسلم نزل له بحيراء فقال له ما هذا منك قال: هو ابنى. فقال: ما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا، فكانت تسمية أبى طالب أبا للنبى صلى الله عليه وسلم شائعة عندهم لكونه عمه وكونه رباه وكفله من صغره، وكان يحوطه ويحفظه وينصره فكان مظنة السؤال عنه. والأمر الثانى: أنه وقع فى حديث شبه هذا ذكر أبى طالب فى دلائل القصد أخرج الطبرانى عن أم سلمة أن الحارث بن هشام أتى النبى صلى الله عليه وسلم يوم حجة الوداع فقال: يا رسول الله تحث على صلة الرحم والإحسان إلى الجار وإبرار اليتيم وإطعام الضيف وإطعام المساكين، وكل هذا كان يفعله هشام بن المغيرة فما ظنك به يا رسول الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كل قبر لا يشهد صاحبه أن لا إله إلا الله فهو جذوة من النار، وقد وجدت عمى أبا طالب فى طمطام من النار فأخرجه الله لمكانه منى وإحسانه إلى فجعله فى ضحضاح من النار.

تنبيه

قد استراح جماعة من هذه الأجوبة كلها، وكما أجابوا عن الأحاديث الواردة فيهما بأنها منسوخة أجابوا عن الأحاديث الواردة فى أطفال المشركين أنهم فى النار، وقالوا: الناسخ لأحاديث أطفال المشركين قوله ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ ولأحاديث الأبوين قوله تعالى ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ ومن اللطائف كون الجملتين فى الفريقين مقترنتين فى آية واحدة متعاطفتين متناسقتين فى النظم، وهذا جواب مختصر مفيد يغنى عن كل جواب إلا أنه يتأتى على المسلك الأول دون الثانى كما هو واضح، فلهذا احتجنا إلى تحرير الأجوبة عنها على المسلك الثانى.

تتمة

قد ثبت فى الحديث أن أهون أهل النار عذابا أبو طالب، وأنه فى ضحضاح من النار فى رجليه نعلان يغلى منهما دماغه، وهذا يدل على أن أبوى النبى صلى الله عليه وسلم ليسا فى النار، لأنهما لو كانا فيها لكانا أهون عذابا من أبى طالب لأنهما أقرب منه مكانا وأبسط عذرا لأنهما لم يدركا البعثة ولا عرض عليهما الإسلام فامتنعا بخلاف أبى طالب، وقد أخبر الصادق المصدوق أنه أهون أهل النار عذابا فليس أبواه من أهلها، وهذا يسمى عند أهل الأصول دلالة الإشارة.

منصب ميدان جدلى

المجادلون فى هذا الزمان كثير وخصوصا فى هذه المسألة وأكثرهم ليس لهم معرفة بطرق الاستدلال فالكلام معهم ضائع غير أنى أنظر

الذى يجادل وأكلمه بطريق يقرب من ذهنه فإنه أكثر ما عنده أن يقول الذى ثبت فى صحيح مسلم يدل على خلاف ما تقول، فإن كان الذى يجادل بذلك من أهل مذهبنا شافعى المذهب أقول له قد ثبت فى صحيح مسلم أنه صلى الله عليه وسلم يقرأ فى الصلاة بسم الله الرحمن الرحيم وأنت لا تصحح الصلاة بدون البسلمة وثبت فى الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال: إنما جعل الإمام ليؤتم به، فلا تختلفوا عليه، فإذا ركع فاركعوا وإذا رفع فارفعوا وإذا قال سمع الله لمن حمده فقولوا ربنا لك الحمد وإذا صلى جالسا فصلوا جلوسا أجمعون. وأنت إذا قال سمع الله لمن حمده تقول سمع الله لمن حمده مثله، وإذا صلى جالسا بعذر وأنت قادر تصلى خلفه قائما لا جالسا، وثبت فى الصحيحين فى حديث التيمم إنما يكفيك أن تقول بيديك هكذا ثم ضرب بيده ضربة واحدة ومسح الشمال على اليمين وظاهر كفيه ووجهه، وأنت لا تكتفى فى التيمم بضربة واحدة ولا بالمسح إلى الكوعين فكيف خالفت الأحاديث التى ثبتت فى الصحيحين أو أحدهما فلا بد إن كانت عنده رائحة من العلم أن يقول قامت أدلة أخرى معارضة لهذه فقدمت عليها فأقول له وهذا مثله لا يحتج عليه إلا بهذه الطريقة فإنها ملزمة له ولأمثاله.

فإن كان المجادل مالكى المذهب أقول له قد ثبت فى الصحيحين المتبائعان بالخيار ما لم يتفرقا. وأنت لا تثبت خيار المجلس، وثبت فى صحيح مسلم أنه صلى الله عليه وسلم توضأ ولم يمسح كل رأسه، وأنت توجب فى الوضوء مسح كل الرأس فكيف خالفت ما ثبت فى الصحيح؟ فيقول قامت أدلة أخرى معارضة له فقدمت عليه فأقول له وهذا مثله.

وإن كان المجادل حنفى المذهب أقول له قد ثبت فى الصحيحين إذا ولغ الكلب فى إناء أحدكم فليغسله سبعا. وأنت لا تشترط فى النجاسة الكلبية سبعا، وثبت فى الصحيحين لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب، وأنت تصحح الصلاة بدونها، وثبت فى الصحيحين ثم ارفع حتى تعتدل قائما. وأنت تصحح الصلاة بدون الطمأنينة فى الاعتدال، وصح فى الحديث إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا، وأنت لا تعتبر القلتين، وصح فى الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم باع المدبر، وأنت لا تقول ببيع المدبر، فكيف خالفت هذه الأحاديث الصحيحة؟ فيقول: قامت أدلة أخرى معارضة لها فقدمت عليها. فأقول له وهذا مثله.

وإن كان المجادل حنبلى المذهب أقول له قد ثبت فى الصحيحين من صام يوم الشك فقد عصى أبا القاسم. وثبت فيهما لا تقدموا رمضان بصوم يوم ولا يومين، وأنت تقول بصيام يوم الشك فكيف خالفت ما ثبت فى الصحيحين؟ فيقول قامت أدلة أخرى معارضة له فقدمت عليه فأقول له وهذا مثله، هذا أقرب بالقرب به لأذهان الناس اليوم.

وإن كان المجادل ممن يكتب الحديث ولا فقه عنده يقال له: قد قالت الأقدمون المحدث بلا فقه كعطار غير طبيب، فالأدوية حاصلة فى دكانه ولا يدرى لماذا تصلح، والفقيه بلا حديث كطبيب ليس بعطار، يعرف ما يصلح له الأدوية إلا أنها ليست عنده. وإنى بحمد الله قد اجتمع عندى الحديث والفقه والأصول وسائر الآلات من العربية والمعانى والبيان وغير ذلك فأنا أعرف كيف أتكلم وكيف أقول وكيف أستدل وكيف أرجح، وأما أنت يا أخى وفقنى الله وإياك فلا يصلح لك

ذلك لأنك لا تدرى الفقه ولا الأصول ولا شيئا من الآلات، والكلام فى الحديث والاستدلال به ليس بالهين ولا يحل الإقدام على التكلم فيه لمن لم يجمع هذه العلوم، فاقتصر على ما آتاك الله وهو أنك إذا سئلت عن حديث تقول ورد أو لم يرد وصححه الحفاظ أو حسنوه أو ضعفوه لا يحل لك فى الإفتاء سوى هذا القدر وخل ما عدا ذلك لأهله.

لا تحسب المجد تمرا أنت آكله   لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

وثم أمر آخر أخاطب به كل ذى مذهب من مقلدى المذاهب الأربعة وذلك أن مسلما روى فى صحيحه عن ابن عباس أن طلاق الثلاث كان يجعل واحدة فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وصدرا من إمارة عمر. فأقول لكل طالب علم: هل تقول أنت بمقتضى هذا الحديث وإن من قال لزوجته أنت طالق ثلاثا تطلق واحدة فقط فإن قال نعم أعرضت عنه وإن قال لا أقول له فكيف تخالف ما ثبت فى صحيح مسلم فإن قال لما عارضه أقول له فاجعل هذا مثله.

والمقصود من سياق هذا كله أنه ليس كل حديث فى صحيح مسلم يقال بمقتضاه لوجود المعارض له.

المسلك الثالث

إن الله أحيا له أبويه حتى آمنا به، وهذا المسلك مال إليه طائفة كبيرة من حفاظ المحدثين، وغيرهم منهم ابن شاهين والحافظ أبو بكر الخطيب البغدادى والسهيلى والقرطبى والمحب الطبرى والعلامة ناصر الدين ابن المنير وغيرهم، واستدلوا لذلك بما أخرجه ابن شاهين فى (الناسخ

والمنسوخ) والخطيب البغدادى فى (السابق واللاحق) والدارقطنى وابن عساكر كلاهما فى (غرائب مالك) بسند ضعيف عن عائشة قالت: حج بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع، فمر بى على عقبة الحجون وهو باك حزين مغتم، فنزل فمكث عنى طويلا ثم عاد إلى وهو فرح متبسم، فقلت له فقال ذهبت بقبر أمى فسألت الله أن يحييها فأحياها فآمنت بى وردها الله. هذا الحديث ضعيف باتفاق المحدثين بل قيل إنه موضوع لكن الصواب ضعفه لا وضعه وقد ألفت فى بيان ذلك جزءا مفردا، وأورد السهيلى فى (الروض الأنف) بسند قال إن فيه مجهولين عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه أن يحيى أبويه فأحياهما له فآمنا به ثم أماتهما. وقال السهيلى بعد إيراده: إن الله قادر على كل شيء وليس تعجز رحمته وقدرته عن شيء، ونبيه صلى الله عليه وسلم أهل أن يختص بما شاء من فضله وينعم عليه بما شاء من كرامته، وقال القرطبى لا تعارض بين حديث الإحياء وحديث النهى عن الاستغفار وإن حديث إحيائهما متأخر عن الاستغفار لهما بدليل حديث عائشة إن ذلك كان فى حجة الوادع، ولذلك جعله ابن شاهين ناسخا لما ذكر من الأخبار.

وقال العلامة ناصر الدين ابن المنير المالكى فى كتاب (المقتفى فى شرف المصطفى) قد وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم إحياء الموتى نظير ما وقع لعيسى ابن مريم إلى أن قال: وجاء فى حديث أن النبى صلى الله عليه وسلم لما منع من الاستغفار للكفار دعا الله أن يحيى له أبويه فأحياهما فآمنا به وصدقا وماتا مؤمنين، وقال القرطبى: فضائل النبى

صلى الله عليه وسلم لم تزل تتوالى وتتتابع إلى حين مماته، فيكون هذا مما فضله الله به وأكرمه، قال: وليس إحياؤهما وإيمانهما به الممتنع عقلا ولا شرعا، وقد ورد فى القرآن إحياء قتيل بنى إسرائيل والإخبار بقاتله، وكان عيسى عليه السلام يحيى الموتى، وكذلك نبينا صلى الله عليه وسلم أحيا الله على يديه جماعة من الموتى، قال وإذا ثبت هذا فما يمتنع من إيمانهما بعد إحيائهما زيادة فى كرامته وفضيلته، وقال الحافظ فتح الدين بن سيد الناس فى (سيرته) بعد ذكر قصة الإحياء والأحاديث الواردة في التعذيب: وذكر بعض أهل العلم فى الجمع بين الروايات ما حاصله أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يزل راقيا فى المقامات السنية صاعدا فى الدرجات العلية إلى أن قبض الله روحه الطاهرة إليه وأزلفه بما خصه لديه من الكرامات حين القدوم عليه، فمن الجائز أن يكون هذه درجة حصلت له صلى الله عليه وسلم بعد أن لم تكن وأن تكون الإحياء والإيمان متأخرا عن تلك الأحاديث فلا تعارض، انتهى. وقد أشار بعض العلماء إلى ذلك فقال بعد إيراده خبر حليمة وما أسداه صلى الله عليه وسلم إليها حين قدومها عليه:

هذا جزاء الأم عن إرضاعه ... لكن جزاء الله عنه عظيم

وكذاك أرجو أن يكون لأمه ... عن ذاك آمنة بدر نعيم

ويكون أحياها الإله وآمنت ... بمحمد فحديثها معلوم

فلربما سعدت به أيضا كما ... سعدت به بعد الشقاء حليم

وقال الحافظ شمس الدين ابن ناصر الدين الدمشقى فى كتابه المسمى (مورد الصادى فى مولد الهادى) بعد إيراد الحديث منشدا لنفسه:

أشعار

حبا الله النبى مزيد فضل   على فضل وكان به رءوفا

فأحيا أمه وكذا أباه   لإيمان به فضلا لطيفا

فسلم فالقديم بذا قدير   وإن كان الحديث به ضعيفا

خاتمة

وجمع من العلماء لم تقو عندهم هذه المسالك فأبقوا حديثى مسلم ونحوهما على ظاهرها من غير عدول عنهما بدعوى نسخ ولا غيره، ومع ذلك قالوا: لا يجوز لأحد أن يذكر ذلك، قال السهيلى فى (الروض الأنف) بعد إيراده حديث مسلم: وليس لنا نحن أن نقول ذلك فى أبويه صلى الله عليه وسلم، لقوله: لا تؤذوا الأحياء بسبب الأموات. وقال تعالى ﴿ إن الذين يؤذون الله ورسوله﴾ الآية، وسئل القاضى أبو بكر بن العربى أحد الأئمة المالكية عن رجل قال إن آباء النبى صلى الله عليه وسلم فى النار، فأجاب بأن من قال ذلك فهو ملعون، لقوله تعالى ﴿ إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة﴾ قال ولا أذى أعظم من أن يقال عن أبيه إنه فى النار. ومن العلماء من ذهب إلى قول خامس وهو الوقوف، قال الشيخ تاج الدين الفاكهانى فى كتابه

(الفجر المنير) الله أعلم بحال أبويه، وقال الباجى[١٠٦] فى (شرح الموطأ) قال بعض العلماء إنه لا يجوز أن يؤذى النبى صلى الله عليه وسلم بفعل مباح ولا غيره، وأما غيره من الناس فيجوز أن يؤذى بمباح وليس له المنع منه، ولا يأثم فاعل المباح وإن وصل بذلك أذى إلى غيره. قال ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم حين أراد على بن أبى طالب أن يتزوج ابنة أبى جهل «إنما فاطمة بضعة منى وإنى لا أحرم ما أحل الله تعالى ولكن والله لا تجتمع ابنة رسول الله وابنة عدو الله عند رجل أبدا.

فجعل حكمها فى ذلك حكمه أنه لا يجوز أن يؤذى بمباح، واحتج على ذلك بقوله تعالى ﴿ **إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله**﴾ الآيتين، فشرط على المؤمنين أن يوذوا بغير ما اكتسبوا وأطلق الأذى فى خاصة النبى صلى الله عليه وسلم من غير شرط. انتهى. وقد سئلت أن أنظم فى هذه المسألة أبياتا أختم بها هذا التأليف فقلت:

إن الذى بعث النبى محمدا ... أنجى به الثقلين مما يجحف

ولأمه وأبيه حكم شائع ... أبداه أهل العلم فيما صنفوا

فجماعة أجروهما مجرى الذى ... لم يأته خبر الدعاة المسعف

والحكم فيمن لم تجئه دعوة ... أن لا عذاب عليه حكم مؤلف

فبذاك قال الشافعية كلهم ... والأشعرية ما بهم متوقف

---

(١٠٦) له ترجمة وافية فى سير أعلام النبلاء للذهبى.

وبسورة *الإسراء فيه حجة ... وبنحو ذا فى الذكر آى تعرف
ولبعض أهل الفقه فى تعليله ... معنى أرق من النسيم وألطف
إذ هم على الفطر التى ولدوا ولم ... يظهر عناد منهم وتخلف
ونحا الإمام الفخر رازى الورى ... منحا به للسامعين تشنف
قال الألى ولدوا النبى المصطفى ... كل على التوحيد إذ يتحنف
من آدم لأبيه عبد الله ما ... فيهم أخو شرك ولا مستنكف
فالمشركون كما بسورة توبة ... نجس وكلهم بطهر يوصف
وبسورة الشعراء فيه تقلب ... فى الساجدين فكلهم متحنف
هذا كلام الشيخ فخر الدين فى ... أسراره هطلت عليه الذرف
فجزاه رب العرش خير جزائه ... وحباه جنات النعيم تزخرف
فلقد تدين فى زمان الجاهلية ... فرقة دين الهدى وتحنفوا
زيد بن عمرو بن نفيل هكذا ... الصديق ما شرك عليه يعكف
قد فسر السبكى بذاك مقالة ... للأشعرى وما سواه مزيف
إن لم يكن عين الرضاء منه على ... الصديق وهو بطول عمر أحنف
عادت عليه صحبة الهادى فما ... فى الجاهلية للضلالة يعرف

فلأمه وأبوه أحرى سيما دارت من الآيات ما لا يوصف

وجماعة ذهبوا إلى إحيائه أبويه حتى آمنا لا خوفوا

وروى ابن شاهين حديثا مسندا فى ذاك لكن الحديث مضعف

هذى مسالك لو تفرد بعضها لكفى فكيف لها إذا تتألف

ويحسب من لا يرتضيها صمته أدبا ولكن أين من هو منصف

صلى الإله على النبى محمد ما جدد الدين الحنيف محنف

حديث يتعلق بهما

حدثنا البيهقى فى (شعب الإيمان) أخبرنا أبو الحسين بن بشر أنا أبو جعفر الرازى أنبأ يحيى بن جعفر أنا زيد بن الحباب أنا ياسين بن معاذ أنا عبد الله بن يزيد عن طلق بن على قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم: يقول لو أدركت والدى أو أحدهما وأنا فى صلاة العشاء وقد قرئ فيها بفاتحة الكتاب فنادى يا محمد لأجبتهما لبيك.

قال البيقهى ياسين بن معاذ ضعيف.

فائدة

قال الأزرقى فى (تاريخ مكة) حدثنا محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن عمران عن هشام بن عاصم الأسلمى قال: لما خرجت إلى النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة أحد فنزلوا بالأبواء قالت هند ابنة عتبة لأبى سفيان بن حرب لو بحثتم قبر آمنة أم محمد فإنه بالأبواء فإن

أسر أحد مكنم افتديتم به كل إنسان بإرب من آرابها، فذكر ذلك أبو سفيان لقريش فقالت قريش: لا تفتح علينا هذا الباب إذن يبحث بنو بكر موتانا.

فائدة

من شعر عبد الله والد رسول الله صلى الله عليه وسلم أورد الصلاح الصفدى فى تذكرته :

لقد حكم السارون فى كل بلدة بأن لنا فضلا على سادة الأرض

وأن أبى ذو المجد والسؤدد الذى يشار به ما بين يسر إلى حفض

وجدى وآباء له أبلوا العلى قديما لطلب العرف والحسب المحض

هذا آخر كتاب (مسالك الحنفا فى والدى المصطفى) صلى الله عليه وسلم. تأليف الإمام العمدة مفتى المسلمين، خاتمة الحفاظ المتقنين الشيخ جلال الدين عبدالرحمن السيوطى رحمه الله تعالى.

التعظيم والمنة
فى أن أبوى
رسول الله فى الجنة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، أفتيت بأن المختار أن أم النبى صلى الله عليه وآله وسلم موحدة وحكمها حكم من تحنف فى الجاهلية وكان على دين إبراهيم الخليل عليه السلام وترك عبادة الأصنام كزيد بن عمرو بن نفيل وأضرابه، وبأن الحديث الوارد فى أن الله أحياها له ليس بموضوع كما ادعاه جماعة من الحفاظ، بل هو من قسم الضعيف الذى يتسامح بروايته فى الفضائل خصوصا فى مثل هذا الموطن فتضمن هذا الإفتاء أمرين محتاجين إلى بيان المستند لكل منهما فأقول: قال ابن شاهين(١) فى كتابه (الناسخ والمنسوخ) حدثنا محمد بن الحسين بن زياد(٢) مولى الأنصار ثنا أحمد بن يحيى الحضرمى(٣) بمكة ثنا أبو غزية محمد بن يحيى الزهرى(٤) ثنا عبد الوهاب بن موسى

---

(١) هو الحافظ الإمام المفيد الكبير محدث العراق أبو حفص عمر بن أحمد بن أحمد ابن عثمان البغدادى صاحب الترغيب والتفسير والمسند والتاريخ، سمع الباغندى والبغوى ومنه المالينى والبرقانى. جمع الأبواب والشيوخ وصنف ثلاثمائة وثلاثين مصنفا. مات سنة ٣٨٥هـ

(٢) له ذكر فى حلية الأولياء لأبى نعيم الأصبهانى.

(٣) ثقة له حديث كثير، وقيل عنه ضعيف.

(٤) له ذكر فى سير أعلام النبلاء .

الزهرى[٥] عن عبد الرحمن بن أبى الزناد[٦] عن هشام بن عروة[٧] عن أبيه عن عائشة[٨] رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم نزل إلى الحجون[٩] كئيبا حزيناً فأقام به ما شاء ربه عز وجل ثم رجع مسروراً فقلت : يا رسول الله نزلت إلى الحجون كئيبا حزينا فأقمت به ما شاء الله ثم رجعت مسروراً قال : سألت ربى عز وجل فأحيا لى أمى فآمنت بى ثم ردها. أورده ابن الجوزى فى الموضوعات وقال الحافظ أبو الفضل بن ناصر[١٠] : هذا الحديث موضوع ومحمد بن زياد

---

(٥) ثقة اختلف فى سنة وفاته قيل سنة ٢٠٢ هـ وقيل سنة ٢٠٠هـ

(٦) هو عبد الرحمن بن أبى الزناد عبد الله بن ذكوان القرشى مولاهم أبو محمد المدنى. روى عن أبيه وهشام بن عروة وزيد بن على وخلق. وعنه ابن وهب وأبو داود الطيالسى وخلق ثقة مات سنة ١٧٤هـ

(٧) هو هشام بن عروة بن الزبير بن العوام الأسدى المدنى، روى عن أبيه وعمه عبد الله بن الزبير وطائفة، وعنه أبو حنيفة ومالك وشعبة والسفيانان والحمادان وخلق، له نحو أربعمائة حديث، ثقة مات سنة ١٤٥هـ

(٨) هى عائشة أم المؤمنين بنت أبى بكر الصديق. كان فقهاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجعون إليها، تفقه بها جماعة. يروى عن أبى موسى قال: ما أشكل علينا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حديث قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علما. ماتت سنة ٥٧هـ

(٩) آخره نون والحجن الاعوجاج ومنه غزوة حجون التى يظهر الغازى الغزو إلى موضع ثم يخالف إلى غيره وقيل هى البعيدة. والحجون جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها.

(١٠) هو شمس الدين محمد بن أبى بكر بن عبد الله بن محمد الدمشقى، ولد سنة ٧٧٧هـ ومات سنة ٨٤٢هـ، وهو محدث البلاد الدمشقية.

هو النقاش ليس بثقة وأحمد بن يحيى ومحمد بن يحيى مجهولان.

قلت: أما محمد بن يحيى فليس بمجهول فقد ذكر الذهبى فى (الميزان والمغنى) معا فقال : محمد بن يحيى أبو غزية المدنى الزهرى. قال الدارقطنى: متروك، وقال الأزدى: ضعيف، هذه عبارته، فقد عرف بالضعيف لا بالوضع ومن يترجم بهذا لا يكون حديثه فى درجة الموضوع، بل فى درجة الضعيف. وأما أحمد بن يحيى الحضرمى فليس بمجهول أيضا فقد ذكره الذهبى(١١) فى (الميزان) وقال : روى عن حرملة التجيبى(١٢)، لينه أبو سعيد بن يونس(١٣)، ومن يترجم بهذا يعتبر حديثه. وأما محمد بن زياد فإن كان هو النقاش كما ذكر فهو أحد العلماء بالقراءات وأحد الأئمة بالتفسير. قال الذهبى فى

---

(١١) هو الإمام الحافظ المؤرخ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ابن قايماز التركمانى ثم الدمشقى المقرى، ولد سنة ٦٧٣هـ ومات سنة ٧٤٨هـ له عدة مصنفات نافعة منها الميزان والمجرد ومشبه النسبة والكاشف وطبقات القراء ومختصر تهذيب الكمال وسير أعلام النبلاء ومختصر سنن البيهقى ومختصر المحلى وغيرهم.

(١٢) هو حرملة بن يحيى بن عبد الله بن حرملة بن عمران التجيبى أبو حفص المصرى صاحب الشافعى، روى عن الشافعى وعبد الله بن وهب ويحيى بن عبد الله بن بكر، وعنه مسلم وابن ماجه وبقى بن مخلد وأبو زرعة وأبو حاتم، ولد سنة ١٦٦ هـ ومات سنة ٢٤٣هـ

(١٣) هو أبو سعيد بن يونس الحافظ عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى الصرفى المصرى صاحب تاريخ مصر، ولد سنة ٢٨١ هـ ومات سنة ٣٤٧هـ، وسمع النسائى.

(الميزان) صار شيخ المقرئين فى عصره على ضعف فيه، أثنى عليه أبو عمرو الدانى وحدث بمناكير ومع ذلك فلم يفردوا به فإن للحديث طريقين آخرين عن أبى غزية. قال الحافظ محب الدين أحمد بن عبد الله المكى الطبرى[١٤] فى كتابه (السيرة) أنا أبو الحسن أنا الحافظ أبو الفضل محمد بن ناصر السلامى إجازة أنا أبو منصور محمد بن أحمد بن على بن عبد الرزاق[١٥] الحافظ الزاهد أنا القاضى أبو بكر محمد بن عمر بن الأخضر[١٦] ثنا أبو غزية محمد بن يحيى الزهرى ثنا عبد الوهاب بن موسى الزهرى عن عبد الرحمن بن أبى الزناد عن هشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم نزل الحجون كئيبا حزيناً فأقام به ما شاء الله ثم رجع مسرورا، قال : سألت ربى فأحيا لى أمى فآمنت بى ثم ردها.

وأما الذهبى فلم يعلل الحديث بواحد من الثلاثة المذكورين بل قال فى (الميزان) عبد الوهاب بن موسى عن عبد الرحمن بن أبى الزناد يحدث أن الله أحيا لى أمى فآمنت بى، الحديث، لا يدرى من ذا الحيوان الكذاب، فإن هذا الحديث كذب يخالف لما صح من أنه عليه السلام استأذن ربه فى الزيارة والاستغفار لها فلم يأذن له انتهى.

---

(١٤) هو فقيه الحرم أبو العباس أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبى بكر المكى الشافعى، مصنف الأحكام الكبرى، ولد سنة ٦١٥، ومات سنة ٦٩٤هـ، ثقة. محدث الحجاز.

(١٥) له ذكر فى سير أعلام النبلاء.

(١٦) اختلف فى اسمه وسنده.

حاصله أنه أعل الحديث بأمرين. أحدهما جهالة عبد الوهاب بن موسى، والثانى مخالفته للحديث الصحيح المذكور. والجواب عن الأمر الأول أن عبد الوهاب معروف من رواة مالك[١٧]، وقد روى هذا الحديث أيضا عنه، قال الحافظ أبو بكر الخطيب فى كتاب (السابق واللاحق): أخبرنا أبو العلا الواسطى[١٨] ثنا الحسين بن على بن محمد الحلبى[١٩] ثنا أبو طالب عمر بن الربيع الزاهد[٢٠] حدثنا على بن أيوب الكعبى[٢١] ثنا محمد بن يحيى الزهرى أبو غزية ثنا عبد الوهاب بن موسى ثنا مالك بن أنس عن أبى الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت : حج بنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حجة الوداع فمر بى على عقبة الحجون وهو باك حزين مغتم فبكيت لبكاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم إنه طفر فنزل فقال: يا حميراء استمسكي، فاستندت إلى جنب البعير فمكث عنى طويلا ثم إنه عاد إليّ وهو فرح مبتسم فقلت له : بأبي أنت وأمي يا رسول الله،

---

(١٧) هو الإمام مالك بن أنس بن مالك بن أبى عامر الأصبحى الحميرى أبو عبد الله المدنى، شيخ الأئمة وإمام دار الهجرة، روى عن نافع ومحمد بن المنكدر وجعفر الصادق وحميد الطويل وخلق. وعنه الشافعى، له نحو ألف حديث. مات سنة ١٧٩هـ

(١٨) له ذكر فى طبقات الحفاظ ٣٩٢

(١٩) ثقة، روى عدة أحاديث اختلف فى سنة وفاته

(٢٠) له ذكر فى ترتيب المدارك للقاضى عياض

(٢١) ثقه روى عن عدة مشايخ مالكية

نزلت وأنت باك حــزين مــغــتم فــبكيت لبكائك ثم إنك عــدت إليّ وأنت فرح مبتسم فيم ذا يا رسول الله قال : ذهبت بقبر أمى فسألت الله أن يحييها فأحياها فآمنت بى وردها الله. أخرجه من هذا الطريق الدارقطنى فى (غرائب مالك) وقال باطل وأخرجه ابن عساكر فى (غرائب مالك) أيضا. وقال منكر وأورده ابن الجوزى فى (الموضوعات) أيضا ولم يتكلم على رجاله وقد قال الذهبى فى (الميزان) على بن أيوب أبو القاسم الكعبى(٢٢) روى عن ابن يحيى الزهرى لا يكاد يعرف.

قلت : قد بان بهذا الطريق أن عبد الوهاب بن موسى هذا يقال له أبو العباس الزهرى ذكره الخطيب فى الرواة عن مالك فأخرج من طريق سعيد بن الحكم(٢٣) بن أبى مريم المصرى ثنا عبد الوهاب بن موسى الزهرى ثنا مالك ثنا عبد الله بن دينار(٢٤) عن سعد مولى عمر بن الخطاب أن كعب الأحبار قال لعمر بن الخطاب رضى الله عنه إنا لنجدك فى كتاب الله تعالى على باب من أبواب جهنم تمنع الناس أن يقعوا فيها فإذا مت لم يزالوا يقتحمون فيها إلى يوم القيامة. هذا الأثر

---

(٢٢) ثقة ذكر فى الشجرة النور الزكية والديباج المذهب لابن فرحون

(٢٣) هو سعيد بن مريم الجمحى مولاهم، وهو ابن الحكم بن محمد بن سالم المصرى، روى عن مالك والليث وأسامة بن زيد وخلق، وعنه ابن معين والبخارى والذهلى ومحمد بن إسحاق الصاغانى وأبو حاتم، وآخرون. ولد سنة ١٤٤ هـ ومات سنة ٢٢٤هـ

(٢٤) هو عبد الله بن دينار القرشى العدوى أبو عبد الرحمن المدنى، مولى عبد الله ابن عمر روى عن مولاه وأنس، وعنه الثورى وابن عيينة وشعبة، ثقة كثير الحديث مات سنة ١٢٧هـ

معروف عن مالك أخرجه ابن سعيد فى (الطبقات) عن معن بن عيسى[٢٥] عن مالك بسنده ومتنه سواء فزالت جهالة عين عبد الوهاب برواية ثان عنه بروايته المعروفة، وكان الحديث عنه من طريقين عن مالك عن أبى الزناد عن هشام، وعن عبد الرحمن بن أبى الزناد عن هشام، فرواه مرة هكذا ومرة هكذا، وفى هذا الطريق زيادة فائدة هى أن ذلك وقع فى حجة الوداع وبه يحصل الجواب عن الأمر الثانى وهو المخالفة لحديث الاستيذان فى الاستغفار عند الزيارة فإن قصة الزيارة كانت عام الفتح كما فى حديث بريدة، وذلك قبل هذه القصة بعامين، ولهذا أورده ابن شاهين فى (الناسخ والمنسوخ) فأورد حديث الزيارة والنهى عن الاستغفار وجعله منسوخا، وأورد بعده حديث عائشة فى الإحياء وجعله ناسخا، وذلك حسن جلى، وتابعه القرطبى على ذلك فقال فى (التذكرة) بعد أن أورد حديث عائشة فى إحياء أمه وحديث إحياء أبويه ولا تعارض لأن إحياءهما متأخر عن الاستغفار لها بدليل حديث عائشة فى حجة الوداع، وكذلك جعله ابن شاهين ناسخا لما ذكر من الأخبار وقال ابن شاهين أيضا : حدثنا يحيى بن صاعد[٢٦] ثنا

---

(٢٥) هو معن بن عيسى بن يحيى بن دينار الأشجعى مولاهم القزاز المدنى. روى عن مالك وإبراهيم بن طهمان وعدة، وعنه ابن معين وأبو بكر بن أبى شيبة وابن المدينى وخلق، ثقة مات سنة ١٩٨هـ

(٢٦) صاحب المصنفات المفيدة منها طبقات الأمم.

إبراهيم بن سعد(٢٧) وزهير بن محمد(٢٨) وله اللفظ قالا ثنا عبد الرحمن ابن المبارك ثنا مصعب بن حرب عن على بن الحكم عن عثمان بن عمير عن أبى وائل عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : جاء ابنا مليكة فقالا : يا رسول الله إن أمنا كانت تكرم الضيف وقد وأدت فى الجاهلية فأين أمنا فقال أمكما فى النار، فقاما وقد شق ذلك عليهما فدعاهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال إن أمى مع أمكما فقال منافق من الناس : أوما يغنى هذا عن أمه إلا ما يغنى ابنى مليكة عن أمهما فقال شاب من الأنصار: لو أن أبويك. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما سألتهما ربى فيعطينى منهما وإنى لقائم المقام المحمود.

وأخرجه الحاكم فى (المستدرك) وقال : صحيح. وفى هذا الحديث فوائد منها أن قوله إن أمى مع أمكما كان قبل أن يسأل ربه فيها فلا

---

(٢٧) هو إبراهيم بن سعد بن إبراهيم عبد الرحمن بن عوف الزهرى أبو إسحاق الزهرى، نزيل بغداد روى عن أبيه وشعبة وصالح بن كيسان، وعنه إسماعيل ابن موسى الفزارى وسلمان بن داود الهاشمى وزكريا بن عدى والحسين بن سيار الحرانى ووثقوه، مات سنة ١٨٣هـ

(٢٨) هو زهير بن محمد بن قمير بن شعبة المروزى نزيل بغداد أبو محمد ويقال أبو عبد الرحمن، روى عن أحمد بن حنبل وأبى ثوبة الربيع بن نافع وروح بن عبادة وزكريا بن عدى والقعنبى وعبد الرزاق وعنه ابن ماجه وأبو بكر البزار والحسين المحاملى وعبد الله بن أحمد بن حنبل وأبو القاسم البغوى ثقة مأمون، مات سنة ٢٥٨هـ

ينافيه حديث إحيائهما وإيمانهما حين سأل ربه فى ذلك ومنها أنه صلى الله عليه وآله وسلم جوز أنه إذا سأل ربه فيها يعطيه فدل ذلك على إمكانه، ومنها أن أصحابه جوزوا ذلك عليه واعتقدوا أن من خصائصه ما يقتضى ذلك. وقال ابن سعد فى (الطبقات) أخبرنا عفان[٢٩] بن مسلم ثنا حماد بن سلمة[٣٠] عن ثابت[٣١] عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث قال : قال العباس : يا رسول الله ما ترجو لأبى طالب قال : كل الخير أرجو من ربى فإذا كان هذا رجاؤه لأبى طالب مع أنه أدرك البعثة وعرض عليه الإسلام فأبى فلأبويه أولى. وقال السهيلى فى كتابه (الروض الأنف) روى حديث غريب لعله يصح وجدته بخط جدى أبى عمر بن أحمد بن أبى الحسن القاضى بسند فيه مجهولون

---

(٢٩) هو عفان بن مسلم بن عبد الله الصفار أبو عثمان البصرى، نزل ببغداد، وروى عن شعبة والحمادين وهمام وخلق، وعنه أحمد ويحيى وإسحاق وابن المدينى والبخارى وأبو زرعة وأبو حاتم وخلق، ثقة ثبت، صاحب سنة مات سنة ٢١٩هـ

(٣٠) هو حماد بن سلمة بن دينار البصرى أبو سلمة، روى عن أيوب السختيانى وأنس بن سيرين وحبيب العلم وخاله حميد الطويل وخلائق. وعنه حجاج بن منهال وأبو داود الطيالسى وسليمان بن حرب وابن المبارك وابن مهدى وآخرون. ثقة مات سنة ١٦٧هـ

(٣١) هو ثابت البنانى بن أسلم أبو محمد البصرى، روى عن أنس وعبد الله بن الزبير وأبى برزة الأسلمى وعمر بن سلمة وغيرهم. وعنه حماد بن زيد وحماد ابن سلمة وحميد الطويل وشعبة، ثقة محدث مات سنة ١٢٧هـ

ذكر أنه نقله من كتاب انتسخ من كتاب معوذ بن داؤد بن معوذ الزاهد يرفعه إلى أبى الزناد عن هشام عن عروة عن عائشة رضى الله عنها أخبرت أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سأل ربه أن يحيى أبويه فأحياهما له فآمنا به ثم أماتهما، والله قادر على كل شىء وليس تعجز رحمته وقدرته عن شىء، ونبيه صلى الله عليه وآله وسلم أهل أن يختص بما شاء من فضله، وينعم عليه بما شاء من كرامته، انتهى.

وقال القرطبى : ذكر الحافظ أبو الخطاب عمر بن دحية(٣٢) أن الحديث فى إيمان أمه وأبيه موضوع يرده القرآن العظيم والإجماع قال الله تعالى ﴿ **ولا الذين يموتون وهم كفار**﴾ (٣٣) وقال : ﴿ **فيمت وهو كافر**﴾ فمن مات كافرا لم ينفعه الإيمان بعد الرجعة بل لو آمن عند المعاينة لم ينفع فكيف بعد الإعادة، وفى التفسير أنه عليه الصلاة والسلام قال : ليت شعرى ما فعل أبواى، فنزل ﴿ **ولا تسأل عن أصحاب الجحيم**﴾.

قال القرطبى وفى ما ذكره ابن دحية نظر، وذلك أن فضل النبى صلى الله عليه وسلم وخصائصه لم تزل تتوالى وتتابع إلى مماته، صلى الله عليه وآله وسلم، فيكون هذا مما فضله الله تعالى به وأكرمه وليس إحياؤهما وإيمانهما به ممتنعا عقلا ولا شرعا، فقد ورد فى الكتاب

---

(٣٢) هو الإمام العلامة الكبير أبو الخطاب عمر بن حسن بن على بن محمد بن فرج بن خلف الأندلسى الدانى الأصل السبتى، سمع ابن بشكوال. مات سنة ٦٣٣هـ

(٣٣) ١٨م النساء ٤

العزيز إحياء قتيل بنى إسرائيل وإخباره بقاتله، وكان عيسى عليه السلام يحيى الموتى، وكذلك نبينا صلى الله عليه وآله وسلم أحيا الله على يديه جماعة من الموتى. وإذا ثبت هذا فما يمتنع من إيمانهما بعد إحيائهما زيادة في كرامته وفضله، مع ما ورد من الخبر في ذلك، ويكون ذلك مخصوصا بمن مات كافراً. وقوله فمن مات كافرا إلى آخر كلامه مردود بما روى في الخبر أن الله تعالى رد الشمس على نبيه بعد مغيبها حتى صلى علي رضى الله عنه. ذكره الطحاوى[٣٤]، وقال إنه حديث ثابت، فلو لم يكن رجوع الشمس نافعا وأنه لا يتجدد الوقت لما ردها عليه، فكذلك يكون لأبوى النبى صلى الله عليه وسلم، وقد قبل الله تعالى إيمان قوم يونس عليه السلام وتوبتهم مع تلبسهم بالعذاب كما هو أحد الأقوال، وهو ظاهر القرآن.

وأما الجواب عن الآية فيكون ذلك قبل إيمانهما فى العذاب. انتهى كلام القرطبى.

قلت : استدلاله على تجدد الوقت بقصة رجوع الشمس فى غاية الحسن، ولهذا حكم بكون الصلاة أداء وإلا لم يكن برجوعها فائدة إذ كان يصح قضاء العصر بعد الغروب. وقد ظفرت باستدلال أوضح منه وهو

---

(٣٤) هو صاحب التصانيف أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدى الحجرى المصرى الحنفى ابن أخت المزنى، سمع يونس بن عبد الأعلى وهارون ابن سعيد الأيلى ومنه الطبرانى، ثقة ثبت انتهت إليه رياسة أصحاب أبى حنيفة، ولد سنة ٢٣٧هـ وله معانى الآثار.

ما ورد أن أصحاب الكهف يبعثون فى آخر الزمان ويحجون ويكونون من هذه الأمة تشريفا لهم بذلك. وورد عن ابن عباس مرفوعا أن أصحاب الكهف أعوان المهدى. أخرجه ابن مردويه فى تفسيره، فقد اعتد بما يفعله أصحاب الكهف بعد إحيائهم من الموت، ولا بدع فى أن يكون الله تعالى كتب لأبوى النبى صلى الله عليه وآله وسلم عمرا ثم قبضهما قبل استيفائه ثم أعادهما لاستيفاء اللحظة الباقية وآمنا فيها، فيعتد به ويكون تأخير تلك البعثة بالمدة الفاصلة بينهما لاستدراك الإيمان من جملة ما أكرم الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، كما أن تأخير أصحاب الكهف هذه المدة من جملة ما أكرموا به ليحوزوا شرف الدخول فى هذه الأمة. ثم إن تعليل ابن دحية للحديث بمخالفة ظاهر القرآن ليس على طريقة أهل الحديث، فقد ذكر الحافظ أبو الفضل ابن طاهر المقدسى فى كتابه (الإيضاح) تعليل ابن حزم[٣٥] لحديث الإسراء الذى أخرجه البخارى، وحكمه عليه بأنه موضوع لمخالفة ما ثبت فى أحاديث الإسراء الصحيحة، ثم تعقبه بأن قال إن ابن حزم وإن كان إماما فى علوم شتى إلا أنه لم يسلك طريق الحفاظ فى تعليل الحديث، وذلك أن الحفاظ إنما يعللون الحديث من طريق الإسناد الذى هو المرقاة إليه، وهذا الرجل علله من حيث اللفظ، انتهى. وأما حديث «ليت شعرى

(٣٥) هو الحافظ الفقيه أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف القرطبى الظاهرى، له المحلى وشرحه والملل والنحل والإيصال، مات سنة ٤٥٧هـ، روى عنه أبو الحسن شريح بن محمد.

ما فعل أبواى، فمعضل ضعيف لا تقوم به حجة، قال الحافظ فتح الدين ابن سيد الناس(٣٦) فى سيرته بعد أن ذكر رواية ابن إسحاق فى أن أبا طالب أسلم عند الموت ما نصه: وقد روى أن عبد الله بن عبد المطلب وآمنة بنت وهب أبوى النبى صلى الله عليه وآله وسلم أسلما أيضا وأن الله أحياهما له فآمنا به، وروى ذلك فى حق جده عبد المطلب، قال: وهو مخالف لما خرجه أحمد عن أبى رزين العقيلى قال: قلت: يا رسول الله أين أمى قال أمك فى النار، وقلت فأين من مضى من أهلك قال أما ترضى أن تكون أمك مع أمى؟

قال وذكر بعض أهل العلم فى الجمع بين هذه الروايات ما حاصله أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم لم يزل راقيا فى المقامات السنية صاعدا فى الدرجات العلية إلى أن قبض الله روحه الطاهرة إليه وأزلفه بما خصه به لديه من الكرامة حين القدوم عليه، فمن الجائز أن تكون هذه درجة حصلت له صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن لم تكن وأن يكون الإحياء والإيمان متأخرا عن تلك الأحاديث فلا تعارض، انتهى.

قلت : هذا كله كلامى على الحديث من غير أن أقف على كلام أحد تكلم عليه، ثم راجعت (لسان الميزان) تأليف إمام الحفاظ أبى الفضل ابن

---

(٣٦) هو الحافظ الإمام العلامة الخطيب أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الله بن سيد الناس اليعمرى الأندلسى الإشبيلى خطيب تونس وعالم المغرب ولد سنة ٥٩٧هـ ومات سنة ٦٥٩هـ.

حجر فوجدته ساق كلام (الميزان) فى ترجمة عبد الوهاب بلفظه، ثم قال ما نصه : قلت : تكلم الذهبى فى هذا الموضع بالظن فسكت عن المتهم بهذا الحديث، وقد قال الدارقطنى فى (غرائب مالك) ما نصه : ويروى عن مالك عن أبى الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها حديثان منكران باطلان، فذكر هذا الحديث من طريق على بن أحمد الكعبى عن أبى غزية، ثم قال : وهذا كذب على مالك والحمل فيه على أبى غزية، والمتهم به هو أو من حدث عنه، وعبد الوهاب بن موسى ليس به بأس. ثم قال الحافظ ابن حجر: وأخرج ابن الجوزى فى (الموضوعات) عن عمر بن الربيع الزاهد ثنا على بن أيوب الكعبى حدثنى محمد بن يحيى أبو غزية الزهرى عن عبد الوهاب بن موسى فذكر الحديث مطولا، ثم ساق من طريق آخر فيه محمد بن الحسن النقاش المفسر قال : ثنا أحمد بن يحيى ثنا محمد بن يحيى عن عبد الوهاب، ثم قال ابن الجوزى : النقاش ليس بثقة وأحمد ابن يحيى ومحمد بن يحيى مجهولان.

قال الحافظ ابن حجر : فأما قوله على ابن أيوب الكعبى فوافقه ابن عساكر عليه لما أخرج هذا الحديث بطوله كما سيأتى فى ترجمة عمر ابن الربيع، وسمى الدارقطنى أباه أحمد وأما محمد بن يحيى فليس بمجهول بل هو معروف له ترجمة جيدة فى (تاريخ مصر) لأبى سعيد ابن يونس، ورماه الدارقطنى بالوضع وهو أبو غزية محمد بن يحيى

الزهرى وسيأتى ذكره فى موضعه، وأما أحمد بن يحيى فلم يظهر من (مسند النقاش) ما يتميز به، وفى طبقته جماعة كل منهم أحمد بن يحيى أقربهم إلى هذا السند أحمد بن يحيى بن زكريا فإنه مصرى، وعلى الكعبى مصرى كما قاله الدارقطنى، وقد ذكر الخطيب عبد الوهاب بن موسى صاحب الترجمة فى الرواة عن مالك، وكناه أبا العباس، وأورد له من طريق سعيد بن أبى مريم عنه عن مالك عن عبد الله بن دينار أثرا موقوفا على عمر رضى الله عنه فى قصة له مع كعب الأحبار، وقال: إنه تفرد به، ولم يذكر فيه جرحا وأورده الدارقطنى فى (الغرائب) من هذه الترجمة وقال : هذا صحيح عن مالك . ونقل ابن الجوزى عن شيخه محمد بن ناصر إن هذا الحديث موضوع لأن قبر أمه بالأبواء كما ثبت فى الصحيح، وأبو غزية هذا زعم أنه بالحجون، وسبق ابن الجوزى إلى الحكم بوضعه ومعارضته لحديث بريدة الجوزقانى فى (كتاب الأباطيل) وسيأتى ترجمة عمر بن الربيع مع زيادة فى الكلام على حديث أبى غزية عن عبد الوهاب بن موسى، هذا كله كلام (لسان الميزان) فى ترجمة عبد الوهاب، وقوله فى أحمد ابن يحيى إنه لم يظهر من (مسند النقاش) ما يتميز به يقال عليه : قد ظهر من السند الذى ساقه ابن شاهين فى (الناسخ والمنسوخ) عنه ما يتميز به من حيث نسبه الحضرمى.

وقال فى (لسان الميزان) فى ترجمة أبى غزية : هو أبو غزية

الصغير زهرى كان بمصر روى عنه جماعة منهم. وقد ذكر أبو سعيد ابن يونس نسبه فقال : محمد بن يحيى بن محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف أبو عبد الله ولقبه أبو غزية مدنى قدم بمصر له كنيتان، وذكر فيمن روى عنه إسحاق بن إبراهيم الكباس وزكريا بن يحيى البغوى(٣٦) وسهل بن سوارة ومحمد بن فيروز ومحمد ابن عبد الله بن حكيم، قال ومات يوم عاشوراء سنة ثمان وخمسين ومائتين.

وقال الدارقطنى فى (غرائب مالك) ثنا أبو بكر النقاش المصرى ثنا محمد بن عبد الله بن حكيم بمصر ثنا أبو غزية محمد بن يحيى الزهرى ثنا عبد الوهاب بن موسى ثنى مالك عن أبى شهاب ثنى سعيد ابن المسيب(٣٧) ثنى عبد الله بن عمر، لما ولى على فذكر قصة فيها فقال على إن أبا بكر سبقنى إلى أربع ... الحديث.

قال الدارقطنى لا يثبت عن الزهرى ولا عن مالك وأبوغزية هذا هو الصغير منكر الحديث، ثم أورد من طريق على بن أحمد فقال وكان ثقة: ثنا أبو غزية محمد بن يحيى ثنى أبو العباس عبد الوهاب بن موسى بهذا السند إلى ابن عمر، رفعه: اليمين مندمة أو مأثمة. وقال :

---

(٣٦) له ذكر فى سير أعلام النبلاء للذهبى

(٣٧) هو سعيد بن المسيب بن حزن المخزومى أبو محمد المدنى سيد التابعين. فقيه الفقهاء مات سنة ٩٤هـ

لا يصح هذا عن مالك ولا عن الزهرى، والحمل فيه على أبى غزية، انتهى، وأما أبو غزية فهو محمد بن موسى الأنصارى المدنى القاضى، يروى عن مالك وفليح بن سليمان وعنه إبراهيم بن المنذر والزبير بن بكار وعمر بن محمد بن فليح وطائفة، ضعفه وعنه إبراهيم بن المنذر والزبير بن بكار وعمر بن محمد بن فليح[٣٨] وطائفة ضعفه البخارى وابن حبان وأبو حاتم والعقيلى[٣٩] وابن عدى[٤٠] ووثقه الحاكم، مات سنة سبع ومائتين.

وقال فى ترجمة على بن أحمد الكعبى: مصرى متهم روى عن أبى غزية عن عبد الوهاب عن مالك عن أبى الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها حديثين، أحدهما أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم لما حج مر بقبر أمه آمنة فسأل الله عز وجل فأحياها فآمنت فردها إلى حفرتها.

---

(٣٨) هو محمد بن فليح بن سليمان الخزاعى، ثقة.

(٣٩) هو الحافظ الإمام أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد بن صاعد، صاحب كتاب الضعفاء، مات سنة ٣٢٢هـ

(٤٠) هو الإمام الحافظ الكبير أبو أحمد بن عدى بن عبد الله بن محمد بن مبارك الجرجانى ويعرف أيضا بابن القطان صاحب الكامل فى الجرح والتعديل، ولد سنة ٢٧٧هـ ومات ٣٦٥هـ، روى عن محمد بن عثمان بن أبى شيبة والنسائى وأبى يعلى، وعنه ابن عقدة والماليني وحمزة السهمى.

والثانى بهذا الإسناد أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان ينقل الحجارة للبيت عريانا فجاءه جبريل وميكائيل فواراه وطفقا يحملان الحجارة عنه شفقة من الله عليه، قال الدارقطنى والإسناد والمتنان باطلان ولا يصح لأبى الزناد عن هشام عن أبيه عن عائشة شيء، وهذا كذب على مالك والحمل فيه على أبى غزية والمتهم بوضعه هو أو من حدث عنه، وعبد الوهاب بن موسى ليس به بأس، وقال فى ترجمة على بن أيوب الكعبى بعد أن ساق قول (الميزان) لا يكاد يعرف.

قلت : قد عرفه الدارقطنى وسماه على بن أحمد وقال فى ترجمة عمر بن الربيع بن سليمان أبى طالب الخشاب بعد أن ساق قول الذهبى. ذكره الفرات فى تاريخه وإنه كذاب ما نصه : وضعفه الدارقطنى فى غرائب مالك، وقال مسلمة بن قاسم : تكلم فيه قوم ووثقه آخرون، وكان كثير الحديث، توفى سنة أربعين وثلاثمائة بمصر، وأورد له ابن عساكر فى غرائب مالك من طريق الحسين بن على بن محمد بن إسحاق الحلبى ثنا أبو طالب عمر بن الربيع الخشاب ثنا على بن أيوب الكعبى من ولد كعب بن مالك ثنى محمد بن يحيى الزهرى أبو غزية ثنى عبد الوهاب بن موسى ثنى مالك عن أبى الزناد عن هشام بن عروة عن عائشة قالت : حج بنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى حجة الوداع فذكر الحديث كما تقدم من طريق الخطيب سواء.

قال ابن عساكر: هذا حديث منكر من حديث عبد الوهاب بن موسى

الزهرى المدنى عن مالك، والكعبى مجهول والحلبى صاحب غرائب ولا يعرف لأبى الزناد رواية عن هشام وهشام لم يدرك عائشة فلعله سقط من الكتاب عن أبيه انتهى.

قال الحافظ ابن حجر ولم(.....)[٤١]عمر بن الربيع ولا على بن محمد بن يحيى وهما أولى أن يلصق بهما هذا الحديث من الكعبى وغيره، وقد تقدم ذلك فى ترجمة عبد الوهاب بن موسى وفيه إثبات قوله عن أبيه التى ظن أنها سقطت فهو كما ظن. انتهى.

هذا مجموع كلام الحافظ فى (لسان الميزان) فيما يتعلق بهذا الحديث ورجاله، وقد تلخص لى منه ومما قدمته أن الحديث غير موضوع قطعا. وبيان ذلك أنه ليس فى رواته من أجمع على جرحه فإن مدار الحديث على أبى غزية عن عبد الوهاب وعبد الوهاب وثقه الدارقطنى فى موضعين فقال فى موضع ثقة، وفى موضع : ليس به بأس. وأقره الحافظ ابن حجر ولم ينقل عن أحد فيه جرح، ومن فوقهم من مالك فصاعدا لا يسأل عنهم لجلالتهم، والساقط بين هشام وعائشة عروة وقد ثبت فى طريق آخر، وأبو غزية قال فيه الدارقطنى : منكر الحديث، وقال ابن الجوزى : مجهول، وترجمه ابن يونس ترجمة جيدة أخرجه عن حد الجهالة والكعبى أكثر ما قيل فيه مجهول، وقد عرف. وعمر بن

---

(٤١) بياض فى الأصل

الربيع نقل سلمة توثيقه عن آخرين وأنه كان كثير الحديث، فهذا الطريق بهذا الاعتبار ضعيف لا موضوع على الصنعة فكيف وله متابع أجود منه، وهو طريق أحمد بن يحيى الحضرمى عن أبى غزية فإن هذا الطريق أجود من حيث إن طريق الكعبى فيها رجال على الولاء تكلم فيهم الحلبى وعمر بن الربيع والكعبى، والحضرمى لم يتكلم فيه لا بالجهالة حيث اقتصر فيه على أحمد بن يحيى، وقد عرف لما نسب باللين وهى من ألفاظ التعديل الذى يحكم بحديث صاحبه بالحسن إذا توبع ولو تفرد به لحكمت له بالحسن، فالحديث إذاً من أفراد أبى غزية ومداره عليه. وحكم ابن عساكر على هذا الحديث بأنه منكر حجة لما قلته من أنه ضعيف لا موضوع، لأن المنكر من الضعيف وبينه وبين الموضوع فرق كما هو معروف فى فن الحديث، وأقوى ما أعتمد عليه فى هذا الحديث قول ابن عساكر فإن أكثر ما قيل فى رواية أبى غزية منكر الحديث، فيكون الحديث الذى تفرد به منكر. وضابط المنكر أنه الذى ينفرد به الراوى الضعيف مخالفا لرواية الثقات. وهذا الحديث كذلك إن سلم مخالفته لحديث الزيارة ونحوه فإن اتفقت المخالفة كان ضعيفا فقط، وهى مرتبة فوق المنكر أصلح حالا منه ودون المنكر مرتبة أدون حالا منه وهى مرتبة المتروك، والمتروك أيضا من قسم الضعيف الذى ليس بموضوع.

فصـــل

حديث الزيادة الذى حكم الذهبى بصحته لم يخرجه أحد من الأئمة الستة بل أخرجه الحاكم من حديث ابن مسعود وأحمد من حديث بريدة والطبرانى من حديث ابن عباس وأشار الحافظ ابن حجر فى شرح البخارى إلى أن من حكم بصحته فليس بكونه صححه لذاته بل لوروده من هذا الطريق، وقد تأملت طرق الحديث فوجدتها كلها معلولة ولله الحمد. فأما حديث ابن مسعود فأخرجه الحاكم من طريق أيوب بن هانى[٤٢] عن مسروق عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينظر فى المقابر، وخرجنا معه فأمرنا فجلسنا ثم تخطى القبور حتى انتهى إلى قبر منها فناجاه طويلا ثم ارتفع نحيبه باكيا فبكينا لبكائه، ثم أقبل إلينا فتلقاه عمر رضى الله عنه فقال : يا رسول الله ما الذى أبكاك فقد أبكانا وأفزعنا فجاء فجلس إلينا فقال : أفزعكم بكائى : قلنا نعم . قال : إن القبر الذى رأيتمونى أناجى فيه قبر آمنة بنت وهب، وإنى استأذنت ربى فى زيارتها فأذن لى فاستأذنته فى الاستغفار لها فلم يأذن لى فيه، ونزل على **﴿ ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين﴾** الآيتين، فأخذنى ما يأخذ الولد للوالدة من الرقة فذلك الذى أبكانى. قال الحاكم هذا حديث صحيح وتعقبه الذهبى فى (مختصر المستدرك) فقال أيوب بن هانى

---

(٤٢) له ترجمة وافية فى تهذيب التهذيب

ضعفه ابن معين[٤٣]، انتهى. فهذه علة تقدح فى صحته، والعجب من الذهبى كيف يصحح هذا الحديث فى (الميزان) اعتمادا على تصحيح الحاكم ثم يخالفه فى (مختصر المستدرك) وفى الحديث علة ثانية وهى مخالفته لما فى (صحيح البخارى) وغيره أن هذه الآية نزلت فى موت أبى طالب واستغفار النبى صلى الله عليه وسلم له لم يكن. وفيها ورد أحاديث أخر فى (الترمذى) وغيره فيها نزول الآية على سبب غير قصة آمنة فإن كان الذهبى رد حديث الإحياء لمخالفة هذا الحديث فهذا الحديث يرد المخالف المقطوع بصحته فى (صحيح البخارى) وغيره.

وأما حديث ابن عباس رضى الله عنهما فأخرجه الطبرانى ولفظه إن النبى صلى الله عليه وآله وسلم لما أقبل من غزوة تبوك وأعيم هبط من ثنية عسفان فنزل علي قبر أمه، وذكر حديث ابن مسعود فى نزول الآية، وله علتان مخالفة الحديث الصحيح كما سبق وإسناده ضعيف.

وأما حديث بريدة فأخرجه ابن سعد وابن شاهين بلفظ لما فتح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكة أتى قبرا فجلس إليه وذكر نحوه وفى لفظ آخر (...)[٤٤] وابن شاهين من طريق آخر لما قدم مكة أتى رسم

---

(٤٣) هو يحيى بن معين بن عون الغطفانى مولاهم البغدادى، أحد أئمة الأعلام، روى عن ابن عيينة وأبى أسامة وعبد الرزاق وعفان وغندر وهشيم وخلق. وعنه البخارى ومسلم وأبو داود وعبد الله بن أحمد بن حنبل وهناد وابن سعد وخلق. مات سنة ٢٠٣هـ

(٤٤) بياض فى الأصل

قبر، وعن جرير من طريق آخر : لما قدم مكة وقف على قبر أمه حتى سخن عليه الشمس رجاء أن يؤذن فيستغفر لها فنزلت. وفى هذا الحديث من علة المخالفة ما تقدم وله علة أخرى قال ابن سعد فى (الطبقات) بعد تخريجه : هذا غلط وليس قبرها بمكة، وقبرها بالأبواء. انتهى.

فبان بهذا أن طرق الحديث كلها معلولة وأما قصة نزول الآية الناهية عن الاستغفار فإنه يمكن الجمع بينها وبين الأحاديث الصحيحة فى تقدم نزولها فى قصة أبى طالب وغيره. وأصح طرق هذا الحديث ما أخرجه الحاكم وصححه على شرط الشيخين عن بريدة أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم زار قبر أمه فى ألف مقنع فما رؤى أكثر باكيا من ذلك اليوم، وهذا القدر لا علة له وليس فيه مخالفة لشىء من الأحاديث ولا نهى عن الاستغفار، وقد يكون البكاء لمجرد الرقة التى تحصل عند زيارة الموتى من غير سبب تعذيب ونحوه، وهذا ما فتح الله لى بتحريره فى هذا المحل ولله الحمد.

فصـــل

حاصل ما تقرر فى حديث الإحياء أن الذين حكموا بوضعه من الأئمة الدارقطنى والجوزقانى وابن ناصر وابن الجوزى وابن دحية، والذين حكموا بضعفه فقط وأنه غير موضوع ابن شاهين والخطيب وابن عساكر والسهيلى والقرطبى والمحب الطبرى وابن سيد الناس، ووجه أخذه من كلام ابن شاهين أنه أورده على أنه ناسخ لحديث

الزيارة، فلو كان عنده موضوعا لم يصح أن يحتج به على النسخ، وقد نظرنا بحسب الأصول فوجدنا العلل التى علل بها الفرقة الأولى كلها غير مؤثرة، فلذلك رجحنا قول الفرقة الثانية ولله الحمد. وقد وافق على ما قلته من أن الحديث ضعيف لا موضوع الحافظ شمس الدين ابن ناصر الدين محدث دمشق من المتأخرين فإنه أورد الحديث من طريق الخطيب فى كتابه المسمى (مورد الصادى فى مولد الهادى) وأنشد عقبه:

حبا الله النبى مزيد فضل ... على فضل وكان به رءوفا

فأحيا أمه وكذا أباه ... لإيمان به فضلا لطيفا

فسلم فالقديم بذا قدير ... وإن كان الحديث به ضعيفا

فصل

هذا كله فيما يتعلق بإحيائها وقد ظفرت بأثر يدل على أنها ماتت وهى موحدة: أخرج أبو نعيم فى (دلائل النبوة) من طريق الزهرى عن أم سلمة بنت أبى رهم[٤٥] عن أمها قالت : شهدت آمنة أم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى علتها التى ماتت فيها، ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم غلام يفع له خمس سنين عند رأسها فنظرت إلى وجهه ثم قالت:

---

(٤٥) لها ترجمة وافية فى خلاصة تذهيب الكمال.

بارك الله فيك من غلام يا بن الذى من حومة الحمام

نجا بعون الملك المنعام فودى غداة الضرب بالسهام

بمائة من إبل سوام إن صح ما أبصرت فى المنام

فأنت مبعوث إلى الأنام من عند ذى الجلال والإكرام

تبعث فى الحل وفى الحرام تبعث بالتحقيق والإسلام

دين أبيك البر إبراهام فالله أنهاك عن الأصنام

أن لا تواليها مع الأقوام

ثم قالت: كل حى ميت، وكل جديد بال، وكل كثير يفنى، وأنا ميتة وذكرى باق. وقد تركت خيرا، وولدت طهرا. ثم ماتت فكنا نسمع نوح الجن عليها فحفظنا من ذلك :

نبكى الفتاة البرة الأمينه ذات الجمال العفة الرزينه

زوجة عبد الله والقرينه أم نبى الله ذى السكينه

وصاحب المنبر فى المدينه صارت لدى حفرتها رهينه

هذا القول من أم النبى صلى الله عليه وآله وسلم صريح فى أنها موحدة إذ ذكرت دين إبراهيم وبعث ابنها صلى الله عليه وآله وسلم

بالإسلام، من عند ذى الجلال والإكرام، ونهيه عن عبادة الأصنام وموالاتها مع الأقوام، وهل التوحيد شيء غير هذا. التوحيد الاعتراف بالله وإلهيته وأنه لا شريك له والبراءة من عبادة الأصنام ونحوها وهذا القدر كاف فى التنزيه من الكفر بثبوت صفة التوحيد فى الجاهلية، قبل البعث، وإنما يشترط قدر زائد على هذا بعد البعثة. وقد قال العلماء فى حديث الذى أمر بنيه عند موته أن يحرقوه ويسحقوه ويذروه فى الريح، وقوله: لئن قدر الله على ليعذبنى إن هذه الكلمة لا تنافى الحكم بإيمانه لأنه لم يشك فى القدرة، ولكن جهل فظن أنه إذا فعل ذلك لا يعاد، ولا يظن بكل من كان فى الجاهلية أنه كان كافرا فقد كان جماعة تحنفوا وتركوا ما كان عليه أهل الشرك وتمسكوا بدين إبراهيم عليه السلام وهو التوحيد كزيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة وورقة بن نوفل، فكلهم محكوم بإيمانهم فى الحديث، ومشهود لهم بالجنة، فلا بدع أن تكون أم النبى صلى الله عليه وآله وسلم منهم، كيف وأكثر من تحنف إنما كان سبب تحنفه ما سمعه من أهل الكتب والكهان قرب زمنه صلى الله عليه وآله وسلم من أنه قرب بعث نبى من الحرم صفته كذا وأم النبى صلى الله عليه وآله وسلم سمعت من ذلك أكثر مما سمعه غيرها وشاهدت فى حمله وولادته من الآيات الباهرة مما تحمل على التحنف ضرورة، ورأت النور الذى خرج منها وأضاءت منه قصور الشام حتى رأتها كما ترى (...)[٤٦] وقالت لحليمة حين جاءت به وشقت صدره وهى

(٤٦) بياض فى الأصل

مذعورة: أخشيت عليه الشيطان كلا والله ما للشيطان عليه سبيل وإنه لكائن لابنى هذا شأن، فى كلمات أخر من هذا النمط، وقدمت به المدينة عام وفاتها وسمعت كلام اليهود فيه، وشهادتهم له بالنبوة، ورجعت إلى مكة فماتت فى الطريق فهذا كله مما يؤيد أنها تحنفت فى حياتها.

فصــل

فإن قلت : كيف تدرك أنها كانت موحدة فى حياتها ومتحنفة وهذا الحديث فى أنه استأذن فى الاستغفار لها فلم يؤذن له وقوله فى الحديث الآخر مع أمكما يؤذنان بخلاف ذلك وها أنت أجبت عنهما فيما يتعلق بحديث الإحياء بأنهما متقدمان فى التاريخ، وذلك متأخر فكان ناسخا، فماذا تقول فى هذا فإن الموت على التوحيد ينفى التعذيب ألبتة.

قلت: أحسن ما يقرر به الجواب أن يقال إن قوله أمى مع أمكما صدر قبل أن يوحى إليه أنها من أهل الجنة كما قال صلى الله عليه وآله وسلم فى تبّع لا أدرى تبعا مؤمنا كان أم لا، أخرجه الحاكم وابن شاهين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه، وقال صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن أوحى إليه فى شأنه: لا تسبوا تبعا فإنه كان قد أسلم، أخرجه ابن شاهين فى (الناسخ والمنسوخ) أيضا من حديث سهل بن سعد[٤٧] وابن عباس رضى الله عنهم، فكأنه صلى الله عليه وآله وسلم أولا لم يوح إليه

(٤٧) له ترجمة وافية فى تهذيب التهذيب وخلاصة تذهيب الكمال

فى شأنها أو لم يبلغه القول الذى قالته عند موتها أو لم يذكره فإنه كان ابن خمس سنين، فأطلق القول بأنها مع أمهما جريا على قاعدة أهل الجاهلية ثم أوحى إليه أمرها بعد ذلك ويؤيد ذلك أن فى آخر الحديث ما سألتهما ربى، فهذا يدل على أنه لم يكن بعد بينه وبين ربه مراجعة فى أمرهما، ثم رفع بعد ذلك، وأما حديث عدم الإذن فى الاستغفار فلا يلزم منه الكفر بدليل أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان ممنوعا فى أول الإسلام من الصلاة على من عليه دين لم يترك له وفاء، ومن الاستغفار له وهو من المسلمين، وعلل ذلك بأن استغفاره مجاب على الفور فمن استغفر له وصلى عقب دعائه وصل منزله الكريم فى الجنة. والمديون محبوس عن مقامه حتى يقضى دينه، كما فى الحديث «نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى» فتكون أم النبى صلى الله عليه وآله وسلم مع كونها متحنفة كانت محبوسة فى البرزخ عن الجنة لأمور أخر غير الكفر اقتضت أن لا يؤذن له فى الاستغفار لها إلى أن أذن الله فيه بعد ذلك.

ويحتمل أن يجاب عن الحديثين بأنها كانت موحدة غير أنها لم يبلغها شأن البعث والنشور، وذلك أصل كبير فأحياها الله تعالى له حتى آمنت بالبعث وبجميع ما فى شريعته، ولذلك تأخر إحياؤها إلى حجة الوداع حتى تمت الشريعة، ونزل ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم﴾ فأحييت حتى آمنت بجميع ما أنزل عليه وهذا معنى نفيس بليغ.

فصـل

قد تأملت بالاستقراء، فوجدت جميع أمهات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مؤمنات فلا بد أن تكون أم النبى صلى الله عليه وآله وسلم كذلك وبيان ذلك يكون بالتفصيل وبالإجمال: أما التفصيل فأم عيسى عليه السلام مريم صديقة بنص القرآن، وذهب طائفة إلى أنها نبية لذكرها فى سورة الأنبياء مقترنة بهم، وأم إسحاق سارة مذكورة فى القرآن وقيل أيضا بنبوتها لخطاب الملائكة لها وأم موسى وهارون عليهما السلام مذكورة أيضا فى القرآن وقيل أيضا بنبوتها لقوله تعالى ﴿ وأوحينا إلى أم موسى﴾ وأم شيث حواء أم البشر عليها السلام، وقيل بنبوتها ووردت الأحاديث والآثار بإيمان هاجر أم إسماعيل وأم يعقوب وأمهات أولاده وأم داود وسليمان وزكريا ويحيى وشمويل وشمعون وذى الكفل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

ونص بعض المفسرين على إيمان أم نوح عليه السلام لقوله ﴿ رب اغفر لى ولوالدى﴾ ذكر الكرمانى فى هذه الآية عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لم يكفر لنوح والد بينه وبين آدم عليه السلام ثم حكى قولا غريبا أنهما كانا كافرين قلت: الصواب الأول والأثر المذكور أخرجه ابن سعد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : ما بين نوح إلى آدم من الآباء كانوا على الإسلام، ونص جماعة على إيمان أم إبراهيم ورجحه ابن حبان فى (البحر) فى تفسير سورة إبراهيم واسمها نوماء من ولد

أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام، حكاهما ابن سعد فى (الطبقات).

وأما الإجمال فأخرج فى (المستدرك) وصححه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كانت الأنبياء من بنى إسرائيل إلا عشرة : نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ومحمد عليه السلام، وبنو إسرائيل كلهم كانوا مؤمنين لم يكن فيهم كافر إلى أن بعث الله عيسى عليه السلام فكفر به من كفر فأمهات الأنبياء الذين من بنى إسرائيل كلهن مؤمنات، ولم يبعث بعد عيسى أحد فى الأمم، أما العشرة فقد ثبت إيمان أم إسماعيل وإسحاق ويعقوب، وذكر إيمان أم نوح وإبراهيم، ويبقى أم هود وصالح ولوط وشعيب يحتاج إلى نقل أو دليل، والظاهر إن شاء الله تعالى إيمانهن، فقد ثبت بهذا الاستدلال إيمان الجميع، وكان السر فى ذلك ما يرينه من النور كما ورد فى الحديث، وكذلك أمهات المؤمنين يرين.

فصـــل

قد عرف مما ذكرناه دليلان على أن أم النبى صلى الله عليه وسلم ليست فى النار: كونها متحنفة، وإحياؤها حتى آمنت، فيضم إلى ذلك دليل ثالث وهو كونها من الفترة والأحاديث فى أهل الفترة معروفة مشهورة، وقال الله تعالى ﴿ **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا** ﴾ وقد أورد صاحب (مرآة الزمان) كلام جده ابن الجوزى على الحديث السابق ثم قال عقبه، وقال قوم قد قال الله تعالى ﴿ **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا** ﴾ والدعوة لم تبلغ أباه وأمه فما ذنبهما.

فصـل

ودليل رابع، وهو ما ثبت فى الصحيحين أن أبا لهب رؤى فى نوم فقال لم ألق بعدكم خيرا غير أنى سقيت فى هذه لعتاقتى ثويبة، وثويبة مولاة لأبى لهب كان أبو لهب أعتقها وكانت أرضعت النبى صلى الله عليه وآله وسلم، فإذا سقى أبو لهب وأعتق منه هذا القدر من النار مع شدة عداوته للنبى صلى الله عليه وآله وسلم وشدة ما لقى منه لكونه أعتق من أرضعته فما ظنك بمن حملته فى بطنها تسعة أشهر وأرضعته أياما وربته سنين وهى أمه.

فصـل

ودليل خامس، قال ابن الجوزى أخبرت عن أبى الحسن يحيى بن إسماعيل العلوى أنا عبد الله بن محمد بن على بن الحسن الحسينى ثنا زيد ابن حاجب : ثنا محمد بن عمار العطار ثنا على بن محمد بن موسى الغطفانى ثنا محمد بن هارون العلوى ثنا محمد بن على (...) [٤٨] العباس ثنا أبى ثنا على بن موسى بن جعفر ثنا أبى عن جعفر بن محمد عن أبيه عن على بن الحسين عن أبيه عن على مرفوعا هبط جبرئيل عليه السلام على فقال إن الله يقرئك السلام ويقول حرمت النار على صلب أنزلك وبطن حملك وحجر كفلك. أما الصلب فعبد الله وأما البطن فآمنة وأما الحجر فعمه يعنى أبا طالب، وفاطمة بنت أسد، قال ابن

---

(٤٨) بياض فى الأصل.

الجوزى فى إسناده كما ترى وأبو الحسن العلوى رافضى غال. قلت: فاطمة بنت أسد آمنت وأصحبت وهاجرت رضى الله عنها.

فصل

العجب ممن يقطع بكون أبوى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى النار اعتمادا على قوله «أمى مع أمكما» وقوله إن أبى وأباك فى النار. ونحوهما من الأحاديث ويلغى ما عارضهما بالكلية.

وللمسألة نظير صحيح للناس فيها خلاف، وهى مسألة أطفال المشركين، فقد ورد فى أحاديث كثيرة الجزم بأنهم فى النار، وفى أحاديث قليلة أنهم فى الجنة، وصحح الجمهور هذا، منهم النووى وقال إنه المذهب الصحيح المختار الذى صار إليه المحققون لقوله تعالى ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ وإذا كان لا يعذب البالغ لكونه لم يبلغه الدعوة فغيره أولى، هذا كلام النووى. وذكر غيره أن أحاديث كونهم فى النار منسوخة بأحاديث كونهم فى الجنة، ويوضح النسخ ما أخرجه ابن عبد البر(٤٩) عن عائشة رضى الله عنها قالت : سألت خديجة رسول الله صلى وآله وسلم عن أولاد المشركين، فقال : هم مع

---

(٤٩) هو الحافظ الإمام أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمرى القرطبى ولد سنة ٣٦٨، ومات سنة ٤٦٣هـ، له عدة مصنفات منها شرح الموطأ والاستيعاب وفضل الصحابة والكنى والمغازى والأنساب والشواهد.

آبائهم، ثم سألته بعد ذلك فقال الله أعلم ما كانوا عاملين، ثم سألته بعدما استحكم الإسلام فنزلت ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ فقال : إنهم على الفطرة أو قال فى الجنة. فهذا يدل على النسخ، وكذا القول فى الأحاديث التى وردت فى أن أبوى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى النار كلها منسوخة إما بإحيائهما وإيمانهما وإما بالوحى فى أن أهل الفترة لا يعذبون. ومن جملة الأقوال فى الأطفال أنهم فى مشيئة الله تعالى لا يحكم عليهم بشىء، وهذا هو المنقول عن الشافعى والأئمة لحديث الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم سئل عن أطفال المشركين فقال : الله أعلم بما كانوا عاملين، ومعناه أن من علم الله منه الإيمان لو عاش أدخله الجنة، ومن علم منه الكفر لو عاش أدخله النار، وكذا يقال فى أبوى النبى صلى الله عليه وآله وسلم والظن بهما أنهما لو عاشا إلى بعثه لبادرا إلى الإيمان به مسرعين، فيكونان من أهل الجنة، ومن جملة الأقوال فى الأطفال أنهم يمتحنون فى الآخرة فمن أطاع أدخله الله الجنة ومن عصى أدخله النار، وصححه البيهقى، وهذا بعينه ورد به الأحاديث الصحيحة فى أهل الفترة، وأخرج البزار وأبو يعلى عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يؤتى بأربعة يوم القيامة : بالمولود والمعتوه ومن مات فى الفترة والشيخ الفانى، كلهم يتكلم بحجته، فيقول الله تعالى : لتقومن النار، ويقول لهم إنى كنت أبلغت إلى عبادى رسلا من أنفسهم وإنى رسول نفسى إليكم ادخلوا هذه، فيقول من

كتب عليه الشقاء : يا رب أتدخلناها وما كنا نعرف. وأما من كتب له السعادة فيمضى فيقتحم فيها مسرعا فيقول الله قد عصيتمونى فأنتم لرسلى أشد تكذيبا، ومعصية. فيدخل هؤلاء الجنة وهؤلاء النار.

وأخرج أحمد وابن راهويه فى مسنديهما والبيهقى فى (كتاب الاعتقاد) وصححه عن الأسود بن سريع عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: أربعة يحتجون يوم القيامة رجل لا يسمع شيئا ورجل أحمق ورجل هرم ورجل مات فى فترة. إلى أن قال وأما الذى مات فى الفترة فيقول : رب ما أتانى لك رسول، فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه، فيرسل إليهم أن ادخلوا النار فمن دخلها كانت عليه بردا وسلاما ومن لم يدخلها يسحب إليها. وأخرج البزار عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الهالك فى الفترة والمعتوه والمولود، فيقول الهالك فى الفترة لم يأتنى كتاب، ويقول المعتوه: رب لم تجعل لى عقلا أعقل به خيرا ولا شرا، ويقول المولود رب لم أدرك عقلا، فترفع لهم نار فيقال لهم : ردوها فيردها من كان فى علم الله سعيدا لو أدرك العمل، ويمسك عنها من كان فى علم الله شقيا لو أدرك العمل.

وأخرج البزار عن ثوبان رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: إذا كان يوم القيامة جاء أهل الجاهلية يحملون أوثانهم على ظهورهم فيسألهم ربهم فيقولون ربنا لم ترسل إلينا رسولاً ولم يأتنا لك

أمر، ولو أرسلت إلينا رسولا لكنا أطوع عبادك، فيقول لهم ربهم أرأيتم إن أمرتكم بأمر تطيعوننى، وذكر نحو ما تقدم، وأخرج الطبرانى وأبو نعيم من حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه مثله وفى الباب أحاديث أخر، وهذه الأحاديث هى العمدة فى المسألة وكل ما شابهها وعليها بنى الفقهاء أصولهم ومذاهبهم فى أنه لا يحكم على أحد معين من أهل الفترة أنه فى النار، بل هو فى مشيئة الله موقوف على الامتحان، وقد صرح فى حديث ثوبان بجريان هذا الحكم فى أهل الجاهلية عبدة الأوثان فمن لم يثبت عنه عبادة فهو من باب أولى وأبوا النبى صلى الله عليه وآله وسلم لم يثبت عنهما ما ثبت من أهل الجاهلية من عبادة الأوثان، بل ولا ثبت ذلك من أحد من أصوله بل ثبت أو كاد يثبت انتفاؤه عن جميع أجداده كما سيأتى الإشارة إليه. ويؤخذ من هذه الأحاديث الرد على ابن دحية فى كلامه السالف عنه وقوله إن الإيمان بعد الموت لا ينفع، فإذا كان الإيمان ينفع أهل الفترة فى الآخرة التى ليست بدار تكليف، وقد شاهدوا جهنم بشهادة هذه الأحاديث فلأن ينفعهم بالإحياء فى الدنيا من باب أولى، وعلى تقدير عدم ثبوت إحيائهما فى الدنيا فالظن بهما عند الامتحان فى الآخرة أن يطيعا ويهديهما الله لتقر به عين النبى صلى الله عليه وآله وسلم.

فصــل

ظهر لى نكتة لطيفة جدا فى قوله تعالى ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾(٥٠) حيث قرن بين هاتين الجملتين فإن الأولى متعلقة بأطفال المشركين اعتمد بها النبى صلى الله عليه وآله وسلم حين نزلت وأخبرهم بأنهم فى الجنة بعد إخباره بأنهم فى النار كما تقدم فى حديث عائشة رضى الله عنها، والثانية متعلقة بأهل الفترة وهم والأطفال مشتركون فى عدم التعذيب لأمرين : أحدهما عدم بلوغ الدعوة لعدم العقل المدرك لها فى الأطفال وانتفائها بالكلية وعدم ورودها فى أهل الفترة، والثانى عدم التكليف لعدم شرطه، وهو البلوغ فى الأطفال وورود الشرع فى أهل الفترة إذ لا حكم قبل البعثة، فلهذا قرنت الجملتان، وذلك من بدائع أسرار القرآن. ولهذا اعتمد النبى صلى الله عليه وآله وسلم على الجملة الثانية فى الحكم على أهل الفترة بأنهم يمتحنون فى الآخرة، ولا يبادرون بالعذاب بعد إخباره بما يقتضى أنهم فى النار ابتداء، فكان الإخبار أولا فى الفريقين على حد سواء، والنازل فيهما جملتان مقترنتان والإخبار ثانيا متحد عنهما أيضا وهو أنهم لا يعذبون، وقد صححه النووى والمحققون فى الأطفال، وذهب آخرون إلى أنهم يمتحنون ، وجزم به أهل السنة قاطبة فى أهل الفترة فوجب انتفاء التعذيب، عن أبوى النبى صلى الله

---

(٥١) ١٥ ك الإسراء ١٧

عليه وسلم بما جزموا بالامتحان فى أهل الفترة، وجرى فى الأطفال خلاف، وصح كونهم فى الجنة لأجل مزية البلوغ والعقل فى أولئك، ويدل لكون النبى صلى الله عليه وآله وسلم إنما حكم على أهل الفترة بالامتحان ورفع العذاب اعتمادا على هذه الآية ما أخرجه عبد الرزاق وابن جرير وابن أبى حاتم وابن المنذر فى تفاسيرهم بسند صحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : إذا كان يوم القيامة جمع الله أهل الفترة والمعتوه والأصم والأبكم والشيوخ الذين لم يدركوا الإسلام ثم يرسل إليهم رسولاً فيطيعه من كان يريد أن يطيعه، ثم قال أبو هريرة رضى الله عنه اقرأوا إن شئتم ﴿ **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا**﴾ إسناده على شرط الشيخين ومثله لا يقال من قبل الرأى فله حكم الرفع.

فصل فى نقل مذهب أهل السنةفيمن هو قبل الدعوة

قال أهل الأصول قاطبة شكر المنعم ليس بواجب عقلاً خلافاً للمعتزلة. قال الكياء الهراسى وغيره: المراد بشكر المنعم امتثال الأوامر واجتناب النواهى من الكفر وغيره. وقال ابن السبكى (٥١) فى

---

(٥١) هو الإمام الفقيه المحدث المفسر الأصولى النحوى اللغوى الأديب تقى الدين أبو الحسن على بن عبد الكافى بن على بن تمام بن سوار بن سليم، ولد سنة ٦٨٣هـ ومات سنة ٧٥٦هـ، أخذ الفقه عن ابن الرفعة والشرف الدمياطى والقراءات عن التقى الصائغ والأصلين والمعقول عن العلاء الباجى والخلاف والمنطق عن السيف البغدادى والنحو عن أبى حيان والتصوف عن التاج بن عطاء وابن الصواف.

(شرح مختصر ابن الحاجب)(٥٢) وذهب بعض أصحابنا إلى موافقة المعتزلة كابن شريح (٥٣) والصيرفى (٥٤) والقفال الكبير (٥٥) وابن أبى هريرة(٥٦) والقاضى أبى حامد (٥٧) وقد اعتذر القاضى أبو بكر الباقلانى(٥٨) فى (التقريب) والأستاذ أبو إسحاق والشيخ أبو حامد

---

(٥٢) هو عز الدين ابن الحاجب الحافظ العالم المفيد أبو الفتح عمر بن محمد بن منصور الدمشقى، سمع الكثير وعمل المعجم عن ألف ومائة وثمانين شيخا ومعجم الأماكن ، مات سنة ٦٣٠هـ

(٥٣) له ترجمة وافية فى طبقات السبكى

(٥٤) هو عمرو بن على بن بحر بن كنيز الباهلى أبو حفص الصيرفى الفلاس الحافظ، روى عن ابن علية ويحيى القطان وابن مهدى وابن نمير وخلق، ثقة مات سنة ٢٤٩هـ

(٥٥) هو أبو بكر محمد بن على بن إسماعيل القفال الكبير الشاشى من أكابر علماء عصره بالفقه والحديث واللغة والأدب، صاحب أصول الفقه وشرح رسالة الشافعى ومحاسن الشريعة، ولد سنة ٢٩١ هـ ومات سنة ٣٦٥هـ

(٥٦) هو أبو على الحسن بن الحسين البغدادى المعروف بابن أبى هريرة، أحد أئمة الشافعية، تفقه على ابن سريج ثم على أبى إسحاق المرزوى وصحبه إلى مصر ثم عاد إلى بغداد ومات بها سنة ٣٤٥هـ

(٥٧) هو حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد الغزالى فيلسوف متصوف له نحو مائتى مصنف منها إحياء علوم الدين وتهافت الفلاسفة ومحك النظر ومقاصد الفلاسفة والمنقذ من الضلال وفضائح الباطنية والاقتصاد فى الاعتقاد والتبر المسبوك فى نصيحة الملوك مات سنة ٥٠٥هـ

(٥٨) له ذكر فى طبقات الشافعية للسبكى.

الجوينى[59] فى (شرح الرسالة) عمّن وافق المعتزلة من أصحابنا بأنهم لم يكن لهم قدم راسخ فى الكلام، وربما طالعوا كتب المعتزلة فاستحسنوا هذه العبارة، وهى شكر المنعم واجب عقلا، فذهبوا إليها غافلين عن تشعبها عن أصل المعتزلة مع علمنا بأنهم ما اقتحموا مسالكهم وما تبعوا مقاصدهم قال ابن السبكى: وهو كلام حق بالنسبة إلى ما عدا القفال الكبير أما القفال فكان إماما فى الكلام مقدما إلا أنه كان أول أمره معتزليا فقال هذه المقالة، ثم لما رجع عن الاعتزال لا بد أن يكون رجع عن ذلك، قال ابن السبكى وعلى مسألة شكر المنعم يتخرج مسألة من لم تبلغه الدعوة فعندنا يموت ناجيا ولا يقاتل حتى يدعى إلى الإسلام وهو مضمون بالكفارة والدية، ولا يجب القصاص على قاتله على الصحيح إذ هو ليس بمسلم، انتهى كلامه وهو صريح فى نجاته، وأنه لا يدخل النار وأنه يدخل الجنة مع كونه لا يسمى مسلما، وهذا غير مسألتنا إن ثبت فى شىء من الحديث إطلاق اسم على المحل المتنازع فيه وإنما (...)[60] كما سأشير إليه.

فصل

أورد الزركشى* فى (شرح جمع الجوامع) لقاعدة أن شكر المنعم

---

(٥٩) هو الجوينى الحافظ أبو عمران موسى بن العباس صاحب المسند الصحيح على هيئة مسلم، سمع ابن عبد الأعلى ومنه أبو على الحافظ، مات سنة ٣٢٣هـ

(٦٠) بياض فى الأصل

* هو العلامة أبو الحسن الشيخ بدر الدين الزركشى، تفقه على بعض أصحاب الدميرى، وبرع فى المذهب ولقبوه بالسبكى الثانى، وله تصانيف منها «بداية المحتاج فى شرح المنهاج» مات سنة ٩٣١هـ

ليس بواجب عقلا ثلاث أدلة من القرآن قوله تعالى ﴿ **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا**﴾ (٦١) وقوله تعالى ﴿ **ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون**﴾ (٦٢) أى لم يأتهم الرسل والشرائع وقوله تعالى ﴿ **ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين**﴾ (٦٣) قلت : أخرج ابن أبى حاتم فى تفسيره عند هذه الآية الأخيرة عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : الهالك فى الفترة يقول رب لم يأتنى كتاب ولا رسول ثم قرأ هذه الآية ﴿ **ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين**﴾ إسناده حسن، ومن الآيات الواردة فى هذا قوله تعالى ﴿ **وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكى القرى إلا وأهلها ظالمون**﴾ وقوله تعالى ﴿ **ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى**﴾ أخرج ابن أبى حاتم عند هذه الآية عن عطية العوفى قال: الهالك فى الفترة يقول رب لم يأتنى كتاب ولا رسول. وقرأ هذه الآية ﴿ **ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا**﴾ إلى آخر هذه الآية.

---

(٦١) ١٥ ك الإسراء ١٧

(٦٢) ١٣١ ك الأنعام ٦

(٦٣) ٤٧ القصص ٢٨

وقوله تعالى ﴿ **وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير**﴾ وأخرج ابن أبى حاتم عن قتادة [٦٤] فى هذه الآية قال احتج عليهم بالعمر والرسل وقوله تعالى ﴿ **رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل**﴾ [٦٥] وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن السدى فى هذه الآية ﴿ **لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل**﴾ قال : فيقولون ما أرسلت إلينا رسولا. فإن قلت: كيف يكون حكم أهل الفترة حكم من لم تبلغه الدعوة وحكم ما قبل البعثة، وقد كانت شريعة موسى وعيسى عليهما السلام إذ ذاك موجودة؟ قلت : دلت الأدلة على أن العرب لم يكونوا مخاطبين بها ولا مكلفين بإتيانها ولهذا وردت الأحاديث فى الهالك فى الفترة صريحة، ولو كان المراد بما قبل البعثة أن لا يكون بعث الرسول فى الدنيا أصلا لاستحال وجود ذلك إذ ما من فترة إلا قبلها نبى إلى آدم عليه السلام وهو أول الأنبياء وليس قبل آدم بشر، والقرآن أيضا ناطق بذلك قال الله تعالى ﴿ **وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون * أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن**

---

(٦٤) هو قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسى أبو الخطاب البصرى الأكمه، أحد الأعلام، روى عن أنس وعبد الله بن سرجس وأبى الطفيل وسعيد بن المسيب والحسن وابن سيرين، وعنه أبو حنيفة وأيوب وشعبة ومسعر والأوزاعى وحماد ابن سلمة وأبو عوانة، ثقة ولد سنة ٦٠هـ ومات سنة ١١٧هـ

(٦٥) ١٦٥ م النساء ٤

دراستهم لغافلين﴾ (٦٦). وأخرج ابن أبى حاتم وابن المنذر وأبو الشيخ(٦٧) عن مجاهد (٦٨) فى قوله تعالى ﴿ أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين﴾. قال اليهود والنصارى، خاف أن يقوله قريش، وبهذا القول يندفع ما وقع فى شرح مسلم فى حديث : إن أبى وأباك فى النار. من قوله إن أهل الجاهلية لا يجرى عليهم حكم من لم تبلغه الدعوة لتقدم دعوة إبراهيم وغيره من الأنبياء، كيف وفى الحديث السابق من رواية ثوبان إذا كان يوم القيامة جاء أهل الجاهلية يحملون أوثانهم على ظهورهم، وذكر بقية الحديث فى الامتحان، فهذا نص فى المسألة، وبقية الحديث شاهدة على الهالك فى الفترة ما بين النبيين، واشتهرت لما بين عيسى والنبى صلى الله عليه وآله وسلم، وإذا لم يكن أهل الفترة هم الذين لم تبلغهم الدعوة فليت شعرى من هم، وقد قال الرافعى فى ...(٦٩) وتبعه فى الروضة: من لم تبلغه دعوة نبينا عليه السلام : لا يجوز قتله قبل الإعلام والدعاء إلى الاسلام، فلو قتل كان مضمونا قطعا وكيف يضمن من قتل من بلغته الدعوة فلم يؤمن، أما الكفارة فيجب بلا تفصيل ثم له ثلاثة أحوال: أحدها أن لا تكون بلغته دعوة نبى أصلا فلا قصاص على الصحيح وأوجبه القفال، وهل يجب دية مجوسى أو مسلم وجهان أصحهما الأول.

---

(٦٦) ١٥٦ ك الأنعام ٦

(٦٧) هو عبد الله بن جعفر بن حيان أبو الشيخ، ثقة

(٦٨) هو مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكى المخزومى، مولى السائب بن أبى السائب، ثقة ولد سنة ٢١هـ مات سنة ١٠١هـ

(٦٩) بياض فى الأصل

والثانى أن يكون مستمسكا بدين لم يبدل ولم يبلغه ما يخالفه فلا قصاص على الأصح وقيل يجب دية مسلم أو يجب دية أهل ذلك الدين وجهان أصحهما الثانى، والثالث أن يكون مستمسكا بدين لحقه التبديل لكن لم يبلغه ما يخالفه فلا قصاص قطعا، ويجب دية مجوسى فى الأصح، انتهى. وهل يمكن أن يوجد فى أطراف الأرض من لم يبلغه أن الله بعث نبيا أصلا من لدن آدم، وبعثة أنبياء الله تعالى ووقائعهم مشهورة، ولو لم يكن إلا بعثة نوح وإقامته ألف سنة إلا خمسين عاما والطوفان الذى أغرق أهل الأرض جميعا فلو اخترنا مطلق وجود الأنبياء عليهم السلام لاستحال وجود من لم تبلغه الدعوة ولسقطت الأحاديث والآثار الواردة فى أهل الفترة بأسرها على كثرتها وصحتها، ويحكم عليهم جميعا بأنهم فى النار من غير امتحان. وفى أهل الفترة وردت الأحاديث الثابتة الصحيحة.

فإن قلت : لم يتضح لى هذا كل الاتضاح فزد لى بيانا بوجهه قلت : وجهه مجموع أمور: طول المدة من لدن بعثة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، فإنه لم يبعث فى العرب نبى بعد إسماعيل، وحدث التغير فى دينهما وتمادى الزمان عليه، وفقد من ينقل شريعتهما على وجهها وتدارك القرون قرنا بعد قرن، مستمسكين بذلك المغير، حتى نشأ قوم فلم يجدوا إلا ذلك ولم يسمعوا بحقيقة دين إبراهيم على وجهه، ولا وجدوا من يخبرهم به، فهو يصدق عليهم أنهم لم تبلغهم الدعوة، ولهذا استنكروا ما جاء به النبى صلى الله عليه وآله وسلم، وتعجبوا منه ونسبوه إلى أنه أتى بدين محدث لا يعرف، وقالوا إن هذا لشيء عجاب، ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة. وقالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على

آثارهم مقتدون، ولو كان عندهم علم بدعوة الأنبياء عليهم السلام على ما هى عليه لعرفوا أن دعوة النبى صلى الله عليه وآله وسلم من نمط دعوتهم، فلهذا أسلم كثير من العرب لما سمع من أهل الكتاب الشهادة له بالتصديق، ولم يكن كفرهم إنكار الصانع ولا ألوهيته ولا ادعوا فى الأصنام أنها تخلق وتدبر كما ادعى نمرود وقومه، بل كانو يقرون لله بالإلهية وأنه الخالق المدبر كما قال الله تعالى ﴿ **ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله** ﴾ (٧٠) وكانوا يزعمون الأصنام أنها تشفع لهم عند الله كما قال تعالى حكاية عنهم ﴿ **ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى** ﴾ (٧١) وكانوا يقولون فى تلبيتهم: لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك كما قال الله تعالى ﴿ **وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون** ﴾ (٧٢) فعرف بذلك أن كفرهم كفر إشراك لا كفر إنكار لوجود الصانع، وأن ذلك صادر عن الجهل بما جاءت به الأنبياء والرسل عليهم السلام، وعدم بلوغه لهم على وجهه، ويوضح ذلك قوله تعالى ﴿ **يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير** ﴾ (٧٣) فإذا كان الله أعذر أهل الكتاب بأن بعث رسولا إليهم بعد

---

(٧٠) ٨٧ ك الزخرف ٤٣

(٧١) ٣ ك الزمر ٣٩

(٧٢) ١٠٦ ك يوسف ١٢

(٧٣) ١٩ م المائدة ٥

الفترة بين لهم ما بدله الأحبار وكتموه لئلا يحتجوا بقولهم ما جاءنا من بشير ولا نذير، وهم كانوا أهل الكتاب عالمين بشريعة موسى عليه السلام فى الجملة غير أنهم تمسكوا بما لحقه التبديل لكونهم قلدوا فيه أسلافهم ولم يكونوا أهلا لتمييز الحق من الباطل فما ظنك بالعرب الأميين الذين ليسوا أهل الكتاب ولا يدرون ما الكتاب.

تنبيه

الذى عندى أنه لا ينبغى أن يفهم من قول النووى فى (شرح مسلم) فى حديث أن رجلا قال : أين أبى قال فى النار فلما قفا دعاه فقال إن أبى وأباك فى النار. فيه أن من مات فى الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الأوثان فهو من أهل النار، وليس هذا مواخذة قبل بلوغ الدعوة فإن هؤلاء كانت بلغتهم دعوة إبراهيم عليه السلام وغيره من الأنبياء أنه أراد بذلك الحكم على أبى النبى صلى الله عليه وآله وسلم، بل ينبغى أن يفهمه أنه أراد الحكم على أبى السائل، وكلامه ساكت عن الحكم على الأب الشريف.

فصل

ظهر لى فى حديث «إن أبى وأباك فى النار» علتان: إحداهما من حيث الإسناد وذلك أن الحديث أخرجه مسلم وأبو داود من طريق حماد ابن سلمة عن ثابت عن أنس رضى الله عنه أن رجلا قال يا رسول الله أين أبى قال فى النار. فلما قفا دعاه فقال إن أبى وأباك فى النار. وهذا

الحديث تفرد به مسلم عن البخارى، وفى إفراد مسلم أحاديث متكلم فيها. ولا شك أن يكون هذا منها. أما أولا فثابت وإن كان إماما ثقة فقد ذكره ابن عدى فى (كامله) فى الضعفاء، وقال إنه وقع فى أحاديثه نكرة، وذلك من الرواة عنه فإنه روى عنه الضعفاء أورده الذهبى فى (الميزان) . وأما ثانيا فحماد بن سلمة وإن كان إماما عابدا عالما فقد تكلم جماعة فى روايته، وسكت البخارى عنه فلم يخرج له شيئا فى صحيحه، وقال الحاكم فى (المدخل)ما أخرج مسلم لحماد بن سلمة فى الأصول إلا حديثا عن ثابت، وقد خرج له مسلم فى الشواهد عن طائفة، وقال الذهبى : حماد ثقة له أوهام وله مناكير كثيرة، وكان لا يحفظ فكانوا يقولون إنها دست فى كتبه، وقد قيل إن ابن أبى العرجاء كان ربيبه وكان يدس فى كتبه، ومن مناكيره ما رواه عن ثابت عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قرأ ﴿ فلما تجلى ربه للجبل﴾ قال أخرج طرف خنصره وضرب على إبهامه فساخ الجبل. وهذا الحديث أخرجه أحمد والترمذى والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم، وأورده ابن الجوزى فى الموضوعات وقال إنه لا يثبت وإنه مما دسه ربيبه عليه، والمناكير فى رواية حماد كثيرة، وإنما أوردت هذا لأنه بسند الحديث الذى نحن فى تعليله، ومن أنكر رواياته ما رواه عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهم مرفوعا: رأيت ربى جعدا أمرد عليه خضر. وهذا أيضا أورده فى الموضوعات فبان بهذا أن

الحديث المتنازع فيه لا بد أن يكون منكرا وقد وصف أحاديث كثيرة فى مسلم بأنها منكرة.

العلة الثانية من حيث المتن وهى مبنية على مقدمة، وذلك أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا سأله أعرابى وخاف من إفصاح الجواب له فتنته واضطراب قلبه أجابه بجواب فيه تورية وإيهام كالحديث الذى أخرجه البخارى أنه صلى الله عليه وآله وسلم سأله رجل عن الساعة فنظر إلى أحدث القوم سنا فقال : إن يستفد هذا عمره لم يمت حتى تقوم الساعة. قال : قال : العلماء كان الأعراب يسألونه كثيرا عن الساعة فخشى صلى الله عليه وآله وسلم من قوله لا أعلمها فتنتهم وشكهم فأجابهم بجواب فيه تورية، ومراده إن بلغ هذا الغلام أقصى العمر لم يمت حتى تقوم على الحاضرين ساعتهم بأن يموتوا. وقيام ساعة كل واحد موته.

إذا عرف ذلك فالذى عندى فى هذا الحديث إن أبى وأباك فى النار ليس رواية باللفظ بل رواها الراوى بالمعنى فوهم ذلك وإنما تكلم النبى صلى الله عليه وآله وسلم بكلام مورى ففهم منه السامع فقاله. وقد وضح لنا من ذلك طريق آخر للحديث رواه معمرعن ثابت فلم يذكر «إن أبى وأباك فى النار» وهذا اللفظ لا دلالة فيه على والده صلى الله عليه وآله وسلم بأمره ألبتة، وهو أثبت من حيث الرواية فإن معمرا لم يتكلم فى حفظه ولا استنكر شىء من حديثه، واتفق على التخريج له

الشيخان، فكان لفظه أثبت، ثم وجدنا الحديث ورد من حديث سعد بن أبى وقاص بمثل لفظ رواية معمر عن ثابت عن أنس. فقد أخرج البزار فى (مسنده) والطبرانى فى (المعجم الكبير) بسند رجال الصحيح عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه أن أعرابيا أتى النبى صلى الله عليه وآله وسلم، فقال : يا رسول الله أين أبى؟ قال : فى النار، وقال : فأين أبوك؟ قال : حيث مررت بقبر كافر فبشره بالنار. وهذا حديث صحيح وفيه فوائد، منها بيان أن السائل كان أعرابيا وهو مظنة خشية الفتنة والردة. ومنها بيان جواب فيه إيهام وتورية إذ لم يصرح فيه بأن الأب الشريف فى النار إنما قال : حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار. وهذه جملة لا تدل بالمطابقة على ذلك إنما قد يفهم منها ذلك بحسب السياق والقرائن، وهذا شأن التورية والإيهامات، فكره صلى الله عليه وآله وسلم أن يفصح له بحقيقة الحال. ومخالفة أبيه فى المحل الذى هو فيه خشية ارتداده لما جلبت عليه النفس من كراهة الاستيثار عليها، ولما كانت عادة الأعراب من غلظ القلوب والجفاء أورد له جوابا موهما : تطييبا لقلبه، فكانت هذه الطريق من طرق الحديث فى غاية الإتقان، ولهذا قال بعض الحفاظ : لو لم يكتب الحديث من ستين وجها ما عقلناه، يعنى اختلاف الرواة فى إسناده وألفاظه، وقد وقع فى الصحيحين أحاديث كثيرة من هذا النمط، وهم فيها الرواة فى بعض الألفاظ فبينها النقاد. منها حديث فى نفى قراءة البسملة، وقد أعله الشافعى بذلك، وقال: إن الثابت من طريق آخر نفى سماعها ففهم منه الراوى نفى قراءتها فرواه

بالمعنى على ما فهمه نافيا فى أشياء أخر مبينة فى كتب الحديث، فبان بهذا تعليل الحديث من هذه الجهة، ولا يكون ذلك قدحا فى صحة الحديث من أصله، بل فى هذا اللفظ فقط، وكذلك حديث «أمى مع أمكما» على ضعف إسناده لا يلزم منه كونها فى النار لجواز أن يكون أراد بالمعية كونها معها فى دار البرزخ أو غير ذلك تورية وإيهاما تطييبا لقلوبهما فإن قلت : قد تقرر أن أهل الفترة لا يقضى عليهم بكونهم فى النار حتى يمتحنوا فكيف حكم النبى صلى الله عليه وآله وسلم على أبى السائل بأنه فى النار؟ قلت: ظهر لى عن ذلك أربعة أجوبة : الأول أن هذا الحديث متقدم على الأحاديث الواردة فى أهل الفترة فيكون منسوخا بها كما أخبر أولا عن أطفال المشركين بأنهم فى النار ثم نسخ ذلك. الثانى، أنا لم نقطع بعدم النار فى أهل الفترة بل قلنا يمتحنون فمن أطاع دخل الجنة ومن لا دخل النار فيمكن أن يكون النبى صلى الله عليه وآله وسلم اطلع فى حق هذا بخصوصه على أنه يعصى عند الامتحان فيدخل النار، وأوحى إليه بذلك فحكم بأنه من أهل النار، الثالث أنه يمكن فى هذا الرجل أن يكون ممن دخل يثرب والشام واجتمع بأهل الكتاب وبلغه دعوة موسى عليهما السلام وأصر على الشرك فلم يُعذر. الرابع أنه يمكن أن يكون عاش حتى أدرك بعثة النبى صلى الله عليه وآله وسلم وبلغه ذلك وأصر ومات فى عهده، وهذا لا عذر له ألبتة.

فإن قلت فأبوا النبى صلى الله عليه وآله وسلم قد دخلا يثرب واجتمعا باليهود فلزمهما. قلت الجواب عنهما من ثلاثة أوجه : الأول أنه يحتاج إلى ثبوت أن اليهود دعوه إلى الدين وهذا لم ينقل فنحكم عليه خصوصا أنهما لم يقيما بالمدينة إلا أياما قلائل لا تسع ذلك، أما عبد الله فإنه مر بها فى سفره إلى الشام ورجع فدخلها وهو مريض فأقام بها شهرا مريضا ومات، وهذه المدة مع المرض لا تسع اجتماعا بأحد ولا سؤالا عن دين. وأما آمنة فقدمت المدينة زائرة لأقاربها فأقامت بها أيضا شهرا ومعها النبى صلى الله عليه وآله وسلم فرجعت فماتت بالطريق. الثانى أن تقول أى مانع أن يكونا دعيا إلى الدين فأجابا وإن لم ينقل الأمران وكيف ينسب إليهما الامتناع وقد نشر أمر أهل الكتاب والكهان وغيرهم بنبوة ولدهما قبل ولادته وصدقا بذلك وبشرا به وبشرت به أمه قبل ولادته وعند ولادته وبعد ولادته وصدقت بذلك، وقالت الأبيات السابقة عند موتها، وهل ينسب إليهما الشرك وقد أخبرا عن ولدهما أنه يبعث رسولا عن الله بالتوحيد وكسر الأصنام، وصدقا بذلك، وهل الإسلام شيء غير هذا التصديق. الثالث أنا ندعى أنهما كانا من أول أمرهما على الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام وأنهما لم يعبدا صنما قط، وستقرر ذلك قريبا بأدلة.

تذنيب

من اللطائف فى أمرهما أنهما ماتا شابين فلم يبلغا سنا تقوم به الحجة عليهما كما قال تعالى ﴿ **أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر**﴾ قيل هو ستون سنة، وقيل أربعون سنة، وفى الحديث « لقد أعذر الله إلى امرئ أخره من العمر ستين سنة» وفى الأثر «قد تمت حجة الله على ابن الأربعين» وكان عمر والد النبى صلى الله عليه وآله وسلم حين توفى خمسا وعشرين سنة، كما قال الواقدى إنه أثبت الأقاويل فى سنه وكان عمر أمه حين توفيت قريبا منه.

فصـل

فى الدليل على أن أبوى النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأجداده إلى إبراهيم عليه السلام كانوا على الحنيفية دين إبراهيم ولم يكونوا على ما كانت عليه العرب من عبادة الأوثان : أخرج ابن جرير فى تفسيره عن مجاهد فى قوله تعالى ﴿ **وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام**﴾ (٧٤) قال: فاستجاب الله لإبراهيم عليه السلام دعوته فى ولده فلم يعبد أحد من ولده صنما بعد دعوته. وأخرج ابن أبى حاتم فى تفسيره عن سفيان بن عيينة(٧٥) أنه

---

(٧٤) ٣٥ ك إبراهيم ١٤

(٧٥) هو سفيان بن عيينة بن أبى عمران بن ميمون الهلالى أبو محمد الكوفى الأعور، روى عن عمرو بن دينار والزهرى وزياد بن علاقة وزيد بن أسلم ومحمد بن المنكدر وخلق، وعنه الشافعى وابن المدينى وابن معين وابن راهويه والفلاس، مات سنة ١٩٨هـ

سئل : هل عبد أحد من ولد إسماعيل الأصنام قال : لا، ألم تسمع قوله تعالى ﴿ واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام﴾ وأخرج ابن المنذر فى تفسيره عن ابن جريج [٧٦] فى قوله وتعالى ﴿ رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى﴾ [٧٧] قال فلن يزال من ذرية إبراهيم ناس على الفطرة يعبدون الله. قلت : ويمكن أن يحمل على ذلك قوله تعالى ﴿ وتقلبك فى الساجدين﴾ فقد أخرج ابن سعد فى (الطبقات) والبزار والطبرانى وأبو نعيم فى (الدلائل) عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى ﴿ وتقلبك فى الساجدين﴾ [٧٨] قال: من نبى إلى نبى ومن نبى إلى نبى حتى أخرجتك نبيا، ففسر تقلبه فى الساجدين بتقلبه فى أصلاب الأنبياء عليهم السلام، ويمكن أن يحمل على أعم منهم وهم المصلون الذين ما زالوا فى ذرية إبراهيم لو صح أنه ليس فى أجداد النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنبياء بكثرة، بل إسماعيل وإبراهيم ونوح وشيث وآدم وإدريس فى قول.

فصل

ومما يدل على ذلك أيضا قوله صلى الله عليه وآله وسلم «بعثت من

---

(٧٦) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموى مولاهم أبو محمد، روى عن أبيه ومجاهد وعطاء وطاوس والزهرى وخلق، وعنه ابناه عبد العزيز ومحمد ويحيى الأنصارى والأوزاعى ويحيى القطان والحمادان والسفيانان، ثقة مات سنة ١٥٠هـ

(٧٧) ٤٠ ك إبراهيم ١٤

(٧٨) ٢١٩ ك الشعراء ٢٦

خير قرون بنى آدم قرنا فقرنا حتى بعثت من القرن الذى كنت فيه،[٧٩] أخرجه البخارى فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم «إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من ولد إسماعيل بنى كنانة، واصطفى من بنى كنانة قريشا، واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم» أخرجه مسلم من حديث واثلة، فالخيرية والاصطفاء يشعر بالإسلام. وطريقة أخرى فى الاستدلال، أخرج الإمام أحمد فى (الزهد) والخلال[٨٠] فى (كرامات الأولياء) بسند صحيح على شرط الشيخين عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : ما خلت الأرض من بعد نوح من سبعة يدفع الله بهم عن أهل الأرض. وأخرج ابن جرير فى تفسيره عن شهر بن حوشب[٨١]، قال : لم تبق الأرض إلا وفيها أربعة عشر يدفع الله بهم عن أهل الأرض، ويخرج بركتها إلا زمن إبراهيم فإنه كان فيه وحده. وأخرج أحمد فى (الزهد) عن كعب قال : لم يزل بعد نوح فى الأرض أربعة عشر يدفع بهم العذاب. وأخرج الخلال فى (كرامات الأولياء) عن زاذان قال : ما خلت الأرض بعد نوح من اثنى عشر فصاعدا يدفع الله بهم عن أهل الأرض. هذه الآثار مع أثر ابن جريج السابق فى أنه ما زال من ذرية إبراهيم ناس على الفطرة يعبدون الله، يدل على أن أجداد

(٧٩) ورد فى مفتاح كنوز السنة.

(٨٠) هو الفقيه والمحدث أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون البندارى الحنبلى، ثقه.

(٨١) له ترجمة وافية فى تهذيب التهذيب.

النبى صلى الله عليه وسلم كانوا على الحنيفية زمن إبراهيم، وبيان ذلك أنهم لو كانوا على الكفر فلا يخلو إما أن يكون الذين على الفطرة ويدفع بهم غيرهم أو لا يكون أحد كذلك، والثانى باطل خلاف الوارد فى هذه الآثار الصحيحة، والأول باطل أيضا لأنه يلزم عليه أن يكون غيرهم خيرا منهم إذ لا يكون كافر خيرا من مسلم، وهذا باطل بمخالفة حديث البخارى المصدر به هذا الفصل، وهو أنه بعث من خير قرون بنى آدم قرنا فقرنا إلى القرن الذى كان فيه، فهذا يدل على أن كل أصل من أصوله خير قرنه ولا يكون كذلك وهو كافر وفى قرنه مسلم، فتعين أن يكون مسلماً والأحاديث متواترة بمعنى حديث البخارى.

أخرج البيهقى فى (دلائل النبوة) عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: ما افترق الناس فرقتين إلا جعلنى الله فى خيرهما فأخرجت من بين أبوى ولم يصبنى شىء من عهد الجاهلية، خرجت من نكاح لا من سفاح، من لدن آدم حتى انتهيت إلى أمى فأنا خيركم نفسا وخيركم أبا. وأخرج أبو نعيم فى (دلائل النبوة) من طرق عن ابن عباس رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لم يلتق أبواي على سفاح، لم يزل الله ينقلنى من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفى مهذبا لا تشعب شعبتان إلا كنت فى خيرهما.

وأخرج ابن سعد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: خير العرب مضر وخير مضر بنو عبد مناف وخير بنى عبد مناف بنو هاشم وخير بنى هاشم عبد المطلب والله ما افترق فرقتان منذ خلق الله آدم إلا كنت فى خيرهما. والأحاديث فى هذا المعنى كثيرة، وقد أوردتها فى أول (كتاب المعجزات).

وأخرج ابن عمر العدنى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن قريشا كانت نورا بين يدى الله عز وجل قبل أن يخلق آدم بألفى عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه فلما خلق الله آدم ألقى ذلك النور فى صلبه، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: فأهبطنى الله الأرض فى صلب آدم وجعلنى فى صلب نوح، وقدرنى فى صلب إبراهيم ثم لم يزل الله ينقلنى من الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة حتى أخرجنى من بين أبوىّ ولم يلتقيا على سفاح قط. وأخرج البيهقى فى (الدلائل) والطبرانى فى (الأوسط) عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: قال لى جبريل قلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد رجلا أفضل من محمد ولم أجد بنى أب أفضل من بنى هاشم، قال الحافظ ابن حجر فى (أماليه) بعد أن أورد هذا الحديث: لوائح الصحة ظاهرة على صفحات هذا المتن.

فصـــل

قال الشيخ أبو الحسن الأشعرى[٨٢] إمام أهل السنة وأبو بكر ما زال عين الرضى معه فاختلف الناس فى مراده بهذا الكلام، فقال بعضهم إن الأشعرى يقول إن أبا بكر الصديق رضى الله عنه كان مؤمنا قبل البعثة، وقال آخرون بل أراد أنه لم يزل بحالة غير المغضوب فيها عليه لعلم الله تعالى بأنه يصير من خلاصة الأبرار. قال الشيخ تقى الدين السبكى: لو كان هذا مراده لاستوى الصديق وسائر الصحابة رضى الله عنهم فى ذلك، وهل العبارة التى قالها الأشعرى فى حق الصديق رضى الله عنه لم يحفظ منه فى حق غيره، فالصواب أن يقال إن الصديق رضى الله عنه لم تثبت عنه حالة كفر بالله قبل البعث كحال زيد بن عمرو بن نفيل وأقرانه، لهذا خصص الصديق رضى الله عنه بالذكر عن غيره من الصحابة رضى الله عنهم، انتهى.

قلت : وهذا الذى قاله السبكى فى الصديق رضى الله عنه نقوله نحن فى أبوى النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأجداده مع أن الصديق رضى الله عنه وزيد بن عمرو بن نفيل إنما حصل له التحنف فى الجاهلية ببركة النبى صلى الله عليه وآله وسلم فإنهما كانا صديقين له قبل البعثة وكانا يوادانه كثيرا.

---

(٨٢) انظر كتابه مقالات الإسلاميين.

فصــل

فيمن نص على إسلامه من أجداد النبى صلى الله عليه وآله وسلم صريحا.

أخرج ابن حبيب فى تاريخه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كان عدنان ومعد وربيعة ومضر وخزيمة وأسد على ملة إبراهيم فلا تذكروهم إلا بخير.

قال السهيلى فى (الروض الأنف) يذكر عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : لا تسبوا إلياس فإنه كان مؤمناً. وذكر أنه كان يسمع فى صلبه تلبية النبى صلى الله عليه وآله وسلم بالحج. وأخرج الزبير بن بكار مرفوعا: لا تسبوا مضر ولا ربيعة فإنهما كانا مؤمنين. وقال ابن سعد فى (الطبقات) : أخبرنا خالد بن خداش حدثنا عبد الله بن وهب(٨٣) أخبرنى سعد بن أبى أيوب عن عبد الله بن خالد رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تسبوا مضر فإنه كان قد أسلم. وقال السهيلى فى (الروض الأنف) إن كعب بن لؤى أول من جمع يوم العروبة وكانت قريش تجمع إليه فى هذا اليوم فيخطبهم

---

(٨٣) هو عبد الله بن وهب بن مسلم المصرى الفهرى مولاهم أبو محمد، أحد الأعلام، روى عن مالك والسفيانين وابن جريج وخلق. وعنه أصبغ وحرملة والربيع مات سنة ١٩٧هـ

ويذكرهم بمبعث النبى صلى الله عليه وآله وسلم ويعلمهم أنه من ولده ويأمرهم باتباعه والإيمان به، ينشد فى هذا منها قوله:

يا ليتنى شاهد فحواء دعـوته إذا قريش تبغـى الحـق خذلانا

وقد ذكر الماوردى هذا عن كعب فى (كتاب الأحكام) له. انتهى.

قلت: وأخرجه أبو نعيم فى (دلائل النبوة) بسنده عن أبى سلمه بن عبد الرحمن بن عوف، وفى آخره: وكان بين موت كعب ومبعث النبى صلى الله عليه وآله وسلم خمسمائة وستون سنة، وقد سقت الخبر بلفظه فى أول (كتاب المعجزات).

فصـل

أخرج ابن سعد عن ابن عباس رضى الله عنهما أن عبد المطلب قال لما قدم أصحاب الفيل وقد صعد جبل أبى قبيس:

لا هـمَّ إن المــرء يمنــع رحلــه فامنــع رحــالك

لا يغلبــن صليبهــم ومحــالهم أبــدا محــالك

وأورده جماعة بلفظ:

فانصـر علـى آل الصليـب وعابديــه اليــوم آلــك

هذا يدل على أنه كان على الحنيفية حيث تبرأ من الصليب وعابديه، وفى (طبقات) ابن سعد بأسانيده أن عبد المطلب قال لأم أيمن وكانت تحضن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا بركة لا تغفلى عن ابنى

فإنى وجدته مع غلمان قريبا من الصدودة وإن أهل الكتاب يقولون ابنى نبى هذه الملة.

فصل فى بعض من تحنف فى الجاهلية

أخرج البزار والحاكم فى (المستدرك) وصححه عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «لا تسبوا ورقة ابن نوفل فإنى قد رأيت له جنة أو جنتين» وأخرج البزار عن جابر رضى الله عنه قال : سألنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن زيد ابن عمرو بن نفيل فقيل : يا رسول الله إنه كان يستقبل القبلة فى الجاهلية، ويقول دينى دين إبراهيم وإلهى إله إبراهيم، ويسجد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يحشر ذاك أمة وحده بينى وبين يدى عيسى ابن مريم. وسألناه عن ورقة بن نوفل فقيل : يا رسول الله كان يستقبل القبلة ويقول إلهى إله زيد ودينى دينه فقال : رأيته يمشى فى بطن الجنة عليه حلة من سندس.

وأخرج أبو نعيم فى (الدلائل) عن ابن عباس رضى الله عنهما أن قس بن ساعدة كان يخطب قومه بسوق عكاظ، فقال فى خطبته: سيجيئكم حق من هذا الوجه، وأشار بيده نحو مكة. قالوا ما هذا الحق قال رجل من ولد لؤى بن غالب يدعوكم إلى كلمة الإخلاص وعيش الأبد ونعيم لا ينفد فإن دعاكم فأجيبوه، ولو علمت أنى أعيش إلى مبعثه لكنت أول من يسبقهم إليه.

وأخرج أبو نعيم عن عمرو بن عبسة السلمى قال : رغبت عن آلهة قومى فى الجاهلية وعلمت أنها الباطل يعبدون الحجارة. وأخرج أبو نعيم عن عبد الله بن سلام* قال : لم يمت تبع حتى صدق بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم لما كان يهود يثرب (.....)[٨٤] حديث لا تسبوا تبعا فإنه كان قد أسلم.

وأخرج الخرائطى وابن عساكر فى تاريخه عن جامع أن الأوس بن حارثة كان يذكر دعوة الحق، وبعث النبى صلى الله عليه وآله وسلم. وأوصى بذلك ولده مالكا عند موته، وقد سقت الخبر بتمامه فى المعجزات. وأخرج البيهقى وأبو نعيم كلاهما فى (الدلائل) من طريق الشعبى عن شيخ من جهينة أن عمرو بن حبيب الجهنى ترك الشرك فى الجاهلية وصلى لله وعاش حتى أدرك الإسلام . وسقت الخبر أيضا بتمامه فى المعجزات. وأخرج الطبرانى فى (الكبير) بسند رجاله ثقات عن غالب بن أبجر رضى الله عنه قال : ذكر قس عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : رحم الله قسا قيل : يا رسول الله ترحم على قس، قال : نعم إنه كان على دين أبينا إسماعيل بن إبراهيم.

---

* هو عبد الله بن الحارث الحبر أبو يوسف الإسرائيلى حليف الأنصار. مات سنة ٤٣هـ بالمدينة. حدث عنه أنس ابن مالك وزرارة .

(٨٤) بياض فى الأصل

فصـل

قال الشهرستانى فى (الملل والنحل): كانت العرب على قسمين معطلة ومحصلة. فالمعطلة أصناف. منهم من أنكر الخالق والبعث والإعادة، وقال بالطبع المحيى والدهر المفنى، وهم الذين أخبر الله تعالى عنهم بقوله ﴿ **وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر**﴾ ومنهم من أقر بالخالق والابتداء والإبداع وأنكر البعث والإعادة، وهم الذين أخبر الله عنهم بقوله ﴿ **قال من يحى العظام وهى رميم**﴾. ومنهم من أقر بالخالق والإبداع ونوع من الإعادة وأنكر الرسل وعبد الأصنام وزعم أنها شفعاء له عند الله فى الآخرة، وهم أكثر من العرب إلا شرذمة منهم.

وأما المحصلة فكانوا على ثلاثة أنواع من العلوم : علم الأنساب والتواريخ والأديان ويعدونه نوعا شريفا خصوصا معرفة أجداد النبى صلى الله عليه وآله وسلم والاطلاع على ذلك النور الوارد من إبراهيم إلى إسماعيل، وتواصله فى ذريته إلى أن ظهر بعض الظهور فى أسارير عبد المطلب، وببركة ذلك النور ألهم النذر فى ذبح ولده وببركته كان يأمر ولده بترك الظلم والبغى، ويحثهم على مكارم الأخلاق وينهاهم عن دنيات الأمور، وببركته قال لأبرهة إن لهذا البيت ربا يحفظه، ومنه قال وقد صعد أبا قبيس.

لا هـــم إن المـــرء يمنـــع رحلـــه فامنـــع رحـــالك

لا يغلـــــبن صليبــــــهم ومحـــالهـم أبـــدا محـــالك

وببركة ذلك النور كان يقول فى وصاياه إنه لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم منه وتصيبه عقوبة إلى أن هلك رجل ظلوم لم تصبه عقوبة، فقيل لعبد المطلب فى ذلك، ففكر، وقال : والله إن وراء هذه الدار دارا يجزى فيها المحسن بإحسانه ويعاقب فيها المسيىء بإساءته، ومما يدل على إثباته المعاد والمبدأ أنه كان يضرب بالقداح على عبد الله ابنه ويقول : يا رب أنت الملك المحمود وأنت ربى الملك المعبود، من عندك الطارف والتالد.

ومما يدل على معرفته بحال الرسالة وشرف النبوة أن أهل مكة لما أصابهم ذلك الجدب أمروا أبا طالب أن يحضر بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم وهو صغير فاستسقى به وأنشد فى ذلك أبو طالب بقوله.

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

والنوع الثانى علم الرؤيا. والثالث علم الأنوار، وهو علم الكهانة والقيافة، ومن العرب من يؤمن بالله واليوم الآخر وينتظر النبوة، وكانت لهم سنن وشرائع فممن كان يعتقد الدين الحنيفى زيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة الإيادى وعامر بن الظرب العدوانى، وممن كان قد حرم الخمر فى الجاهلية قيس بن عاصم التميمى وصفوان بن أمية الكنانى وعقيب بن معد يكرب الكندى، وممن كان يؤمن بالخالق ويخلق آدم عليه السلام طالحة بن ثعلب بن وبرة بن قضاعة، ومنهم زهير بن أبى سلمى، وكان يمر بالعضاه وقد أورقت بعد يبس ويقول لولا أن

تسبنى العرب لآمنت أن الذى أحياك بعد يبس سيحيى العظام وهى رميم. ثم آمن بالبعث بعد ذلك وقال فى قصيدته المشهورة :

يؤخر فيوضع فى كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم

وكان بعض العرب إذا حضره الموت يقول لولده ادفنوا معى راحلتى حتى أحشر عليها فإن لم تفعلوا حشرت على رجلى، وكانوا فى الجاهلية يحرمون أشياء نزل القرآن بتحريمها كنكاح الأمهات والبنات والأخوات والخالات والعمات. وكانوا يطوفون ويسعون ويلبون ويفعلون المناسك كلها ويهدون الهدايا ويرمون الجمار ويحرمون الأشهر الحرم، ويغسلون أمواتهم ويكفنونهم، وكانوا يداومون على طهارات الفطرة العشرة التى ابتلى بها إبراهيم عليه السلام، ويوفون بالعقود ويكرمون الضيف ويقطعون يد السارق، وكان دين إبراهيم قائما والتوحيد شائعا فى صدر العرب، وأول من غيره ووضع عبادة الأصنام عمرو بن لحى، وهذا كله كلام الشهرستانى. قال ابن الجوزى فى (التلقيح) تسمية من رفض عبادة الأصنام فى الجاهلية: أبو بكر الصديق زيد بن عمرو ابن نفيل، عبد الله بن جحش، عثمان بن الحويرث، ورقة بن عمرو بن نوفل، رياب بن البراء، أبو بكر أسعد الحميرى، قس بن ساعدة الإيادى، أبو قيس بن صرمة.

فصـــل

ثم رأيت الإمام فخر الدين الرازى احتج بما احتججت من أن آباء النبى صلى الله عليه وآله وسلم كلهم كانوا على التوحيد، فقال فى كتابه (أسرار التنزيل) ما نصه : قيل إن آزر لم يكن والد إبراهيم بل كان عمه، واحتجوا عليه بوجوه منها أن آباء الأنبياء ما كانوا كفارا ويدل عليه بوجوه، منها قوله تعالى ﴿ **الذى يراك حين تقوم * وتقلبك فى الساجدين**﴾ فقيل معناه أنه كان ينتقل نوره من ساجد إلى ساجد، وبهذا التقدير فالآية دالة على أن جميع آباء محمد صلى الله عليه وآله وسلم كانوا مسلمين، وحينئذ يجب القطع بأن والد إبراهيم ما كان من الكافرين أقصى ما فى الباب أن يحمل قوله تعالى ﴿ **وتقلبك فى الساجدين**﴾(٨٥) على وجوده بالكل فلا منافاة بينهما ووجب حمل الآية على الكل، ومتى صح ذلك ثبت أن والد إبراهيم ما كان من عبدة الأوثان.

ومما يدل على أن آباء محمد صلى الله عليه وآله وسلم ما كانوا مشركين قوله عليه السلام « ولم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات» وقال الله تعالى ﴿ **إنما المشركون نجس**﴾ (٨٦) فوجب ألا يكون أحد من أجداده مشركا، هذا كلام الإمام بحروفه، والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

---

(٨٥) ٢١٩ الشعراء ٢٦

(٨٦) ٢٨ م التوبة ٩

مصادر ومراجع تحقيق السلسلة

١ـ الاستدراك — لابن نقطة

٢ـ أسد الغابة فى معرفة الصحابة — لابن الأثير ـ دار الشعب ـ القاهرة ١٩٧٠ـ١٩٧٤م

٣ـ الإصابة فى أسماء الصحابة — تحقيق على محمد البجاوى ـ نهضة مصر ـ القاهرة ١٩٧٥م

٤ـ الأعلام — للزركلى ـ القاهرة ١٩٥٤ ـ ١٩٥٩م

٥ـ الأنس الجليل — لمجير الدين الحنبلى ـ النجف ـ العراق ١٩٦٨م

٦ـ الأنساب — للسمعانى ـ نشره مصوراً مرجليوث ـ ليدن/ لندن ١٩١٢م

٧ـ البدء والتاريخ — للمقدسى ـ باريس ١٨٩٩م

٨ـ البداية والنهاية — لابن كثير القرشى ـ القاهرة ١٣٤٨هـ

٩ـ تاج التراجم — لابن قطلوبغا ـ بغداد ١٩٦٢م

١٠ـ تاريخ بغداد — للخطيب البغدادى ـ طبع الخانجى ١٣٤٩هـ

١١- تبصير المنتبه لابن حجر العسقلانى - تحقيق على محمد البجاوى - الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦م

١٢- تبيين كذب المفترى لابن عساكر - نشره القدسى - دمشق ١٩٢٧م

١٣- تذكرة الحفاظ للذهبى - تصحيح عبد الرحمن بن يحيى المعلمى - حيدر آباد - الهند ١٣٧٤هـ

١٤- تفسير الطبرى دار المعارف - القاهرة ١٩٧٤م

١٥- تهذيب الأسماء واللغات للنووى - المطبعة المنيرية

١٦- تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى - حيدر آباد الدكن ١٣٣٤هـ

١٧- حلية الأولياء لأبى نعيم الأصبهانى - مطبعة السعادة - القاهرة ١٣٢٢هـ

١٨- الرسالة المستطرفة للكتانى - دار الفكر - دمشق ١٩٦٤م

١٩- سنن « أبو داود» دار إحياء الكتب العربية

٢٠- سنن ابن ماجه تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى - الحلبى القاهرة ١٩٥٢م

٢١- سير أعلام النبلاء للذهبى - بيروت ١٩٧٠م

٢٢- شذرات الذهب لابن العماد الحنبلى - نشره القدسى - القاهرة ١٣٥٠هـ

٢٣- صحيح البخارى — القاهرة ١٣٧٨هـ

٢٤- صحيح ابن حبان — بيروت١٩٨٣م

٢٥- صحيح مسلم — تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى - القاهرة١٣٧٤هـ/١٩٥٥م

٢٦- طبقات الحنابلة — لابن أبى يعلى- القاهرة ١٩٥٢م

٢٧- طبقات ابن سعد — تحقيق إحسان عباس - دار صادر- بيروت١٩٦٨م

٢٨- طبقات الشافعية — للسبكى - تحقيق محمد الطناحى وعبد الفتاح ألحلو الحلبى ١٣٨٣هـ

٢٩- طبقات الشيرازى — تحقيق الدكتور إحسان عباس - بيروت ١٩٧٨م

٣٠- طبقات العبادى — تحقيق غوستاف فيستنام - ليدن ١٩٦٤م

٣١- طبقات القراء — لابن الجزرى - برجستراسر ١٩٣٣ -١٩٣٥م

٣٢- طبقات القراء — للذهبى - تحقيق محمد سيد جاد الحق .. دار الكتب الحديثة - القاهرة١٩٦٧م

٣٣- طبقات المفسرين — للداودى - تحقيق على محمد عمر - وهبه القاهرة ١٩٧٤م.

٣٤- طبقات المفسرين — للسيوطى - وهبه - القاهرة ١٩٧٥م

٣٥- طبقات ابن هداية الله تحقيق عادل نويهض - بيروت ١٩٧١م

٣٦- العبر للذهبى - تحقيق صلاح الدين المنجد وفؤاد سيد- الكويت ١٩٦٠م

٣٧- الفرق بين الفرق للبغدادى- القاهرة ١٩٧٥م

٣٨- الفهرست لابن النديم- بيروت ١٩٧٨م

٣٩- الفوائد البهية فى تراجم الحنفية للكنوى- بيروت ١٣٢٤هـ

٤٠- فوات الوفيات لابن شاكر الكتبى - تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد - القاهرة ١٩٥١م

٤١- الكامل فى التاريخ لابن الأثير- بيروت ١٩٦٥م

٤٢- اللباب فى تهذيب الأنساب لابن الأثير - نشره القدسى - القاهرة ١٣٥٧هـ

٤٣- لسان الميزان لابن حجر العسقلانى

٤٤- مرآة الجنان لليافعى - حيدر آباد الدكن بالهند ١٣٣٨هـ

٤٥- مروج الذهب للمسعودى- القاهرة ١٩٦٤م

٤٦ - المعارف لابن قتيبة - تحقيق ثروت عكاشة - دار المعارف ١٩٧٨م

٤٧ـ معجم الأدباء — لياقوت الحموى ـ القاهرة ١٣٥٥هـ ـ١٩٣٦م

٤٨ـ البلدان — لياقوت الحموى ـ دار صادر ـ بيروت

٤٩ـ الملل والنحل — للشهر ستانى القاهرة ١٩٧٥م

٥٠ـ مناقب الإمام أحمد — لابن الجوزى ـ تحقيق عبد الله التركى ـ الخانجى ـ القاهرة ١٩٧٣م

٥١ـ المنتظم — لابن الجوزى ـ حيدر آباد الدكن الهند١٣٥٧هـ

٥٢ـ ميزان الاعتدال — للذهبى ـ تحقيق على محمد البجاوى ـ الحلبى ـ القاهرة ١٩٦٣ .

٥٣ـ النجوم الزاهرة — لابن تغرى بردى ـ دار الكتب المصرية ١٩٣٢م

٥٤ـ نزهة الألباب فى الألقاب — لابن حجر العسقلانى ـ دار الجيل ـ بيروت ١٩٩١م

٥٥ـ نكت الهميان — للصفدى ـ تحقيق أحمد زكى القاهرة ١٩١١م